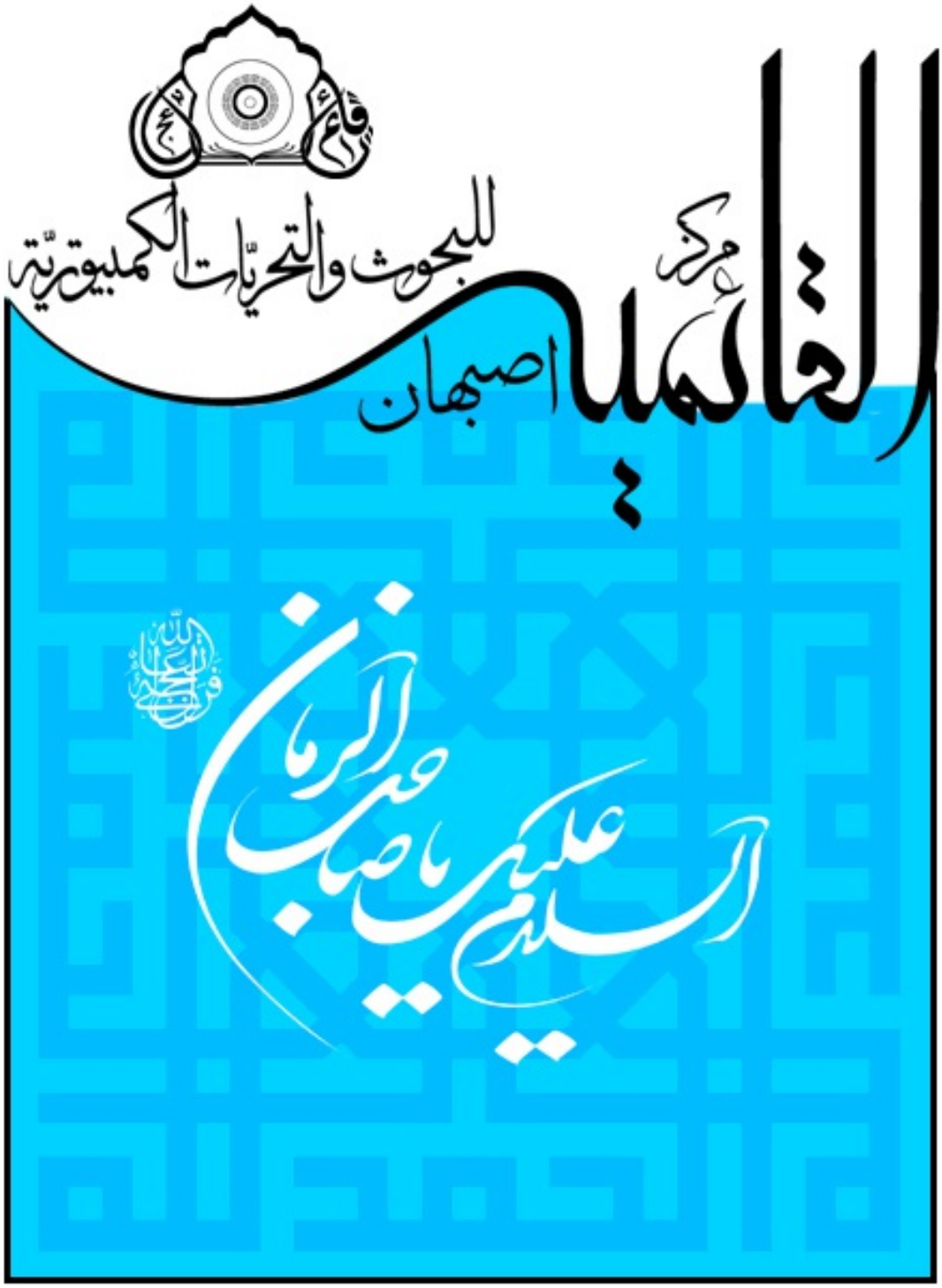

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

بحوث قرآنية

في

التوحيد والشرك

بحث عن:

تحديد معالم التوحيد والشرك

مع تطبيقات عليه

تأليف

إحسان إلهي

ظهير الشهابي

بسم الله الرحمن الرحيم

بحوث قرآنية

كاتب:

آيت الله العظمى جعفر سبحانى (دام ظله)

نشرت فى الطباعة:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
بحوث قرآنية ----- ۷
اشارة ----- ۷
كلمة المؤلف ----- ۷
المقدمة ----- ۸
الفصل الاَوّل ----- ۱۰
الفصل الثانى ----- ۱۴
الفصل الثالث ----- ۱۷
الفصل الرابع ----- ۲۳
الفصل الخامس تطبيقات على ضوء تعريف العبادة ----- ۲۴
تطبيقات على ضوء تعريف العبادة ----- ۲۵
۱- زيارة القبور (۱) ----- ۲۵
۲- شدّ الرحال إلى زيارة قبر النبى (صلى الله عليه ----- ۲۷
۳- البناء على القبور ----- ۳۰
۴-بناء المساجد على القبور والصلاة فيها ----- ۳۵
۵- التوسّل بالاَنبياء و الصالحين ----- ۳۹
۶-انتفاع الموتى بأعمال الاَحياء ----- ۵۱
۷-التبرک بآثار الاَنبياء والصالحين ----- ۵۵
۸- البدعة والاحتفال بميلاد النبى (صلى الله عليه ----- ۵۶
۱۰ - الحلف على اللّه بحقّ الاَولياء ----- ۵۹
۱۱ - الحلف بغير اللّه ----- ۶۱
۱۲ - تسمية المواليد بإضافة العبد إلى غير اللّه ----- ۶۴
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۶۵

بحوث قرآنیة

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور : بحوث قرآنیة : فی التوحید و الشرک یبحث عن تحدید معالم‌التوحید و الشرک مع تطبیقات عملیة/ تالیف جعفر السبحانی

مشخصات نشر : قم موسسه الامام صادق (ع ۱۴۱۹ق ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ۱۷۶ ص.

شابک : ۹۶۴-۶۲۴۳-۴۵-۲ ؛ چاپ دوم : ۹۶۴-۳۵۷-۰۹۲-۴

وضعیت فهرست نویسی : برون‌سپاری

یادداشت : عربی یادداشت : چاپ قبلی موسسه الصادق ۱۳۷۴ تحت عنوان" التوحید و الشرک فی القرآن الکریم می‌باشد.

یادداشت : چاپ دوم ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲.

یادداشت : چاپ سوم: ۱۴۲۶ق. = ۱۳۸۴.

یادداشت : کتابنامه ص [۱۶۳] - ۱۶۹؛ همچنین به صورت زیرنویس

عنوان دیگر : التوحید و الشرک فی القرآن‌الکریم

موضوع : توحید -- جنبه‌های قرآنی

موضوع : شرک -- جنبه‌های قرآنی

شناسه افزوده : موسسه امام صادق (ع)

رده بندی کنگره : BP۱۰۴ /ت۹س۲ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵۹

شماره کتابشناسی ملی : م۷۹-۱۳۷۵۶

کلمة المؤلف

کلمة المؤلف بحوث قرآنیة

فی

التوحید والشرک

یبحث عن تحدید معالم التوحید و الشرک

مع تطبیقات عملیّة تألیف

جعفر السبحانی

(۴) (۵) بسم الله الرحمن الرحیم الحمد للّه ربّ العالمین، والصّلاة والسّلام علی سیّد المرسلین وآله وصحبه المنتجبین.

أمّا بعد،

فهذه بحوث موجزة حول التوحید والشرک فی القرآن الکریم أقدِّمُها إلی الجیل الصاعد من أبناء أُمّتنا الاِسلامیة بُغیة الحفاظ علی کیانهم ووحدة کلمتهم وإنقاذهم من مخالب الشرک وهدایتهم إلی حظیرة التوحید.

فانّ الهدف الاَسمى لجميع الرسل هو مكافحة الشرك وتحطيم قلاعه، قال سبحانه: (وَلَقَدْ بَعَثْنا فى كُلِّ أَمّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوت) .(١)

وقد أضحت مسألة التوحيد والشرك من المسائل الهامّة فى عصرنا هذا، لا سيما وأنّها صارت ذريعة لتشتيت الصفوف وتمزيق الوحدة الاِسلامية، مع أنّ الواجب على كلّ مسلم الحفاظ على توحيد الكلمة وتعزيز أواصر الاَخوَّة.

ويأتى الكلام فى الموضوع ضمن مقدمة وفصول.

---

١ ـ النحل | ٣۶ .

المقدمة

المقدمة

كلمة التوحيد و توحيد الكلمة بُنى الاِسلام على كلمتين: «كلمة التوحيد» والشهادة على أنّه لاإله إلاّ اللّه ونفى أُلوهية وربوبية كلّ موجود سواه، و«توحيد الكلمة» والاعتصام بحبل اللّه المتين والنهى عن التفرق والتشتت وراء مسائل هامشية لا تمسُّ ـ فى كثير من الاَحيان ـ جوهرَ الاِسلام، ورائدُنا فى الدعوة إلى الوحدة وحفظ كيان الاِسلام، قوله سبحانه: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَميعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَقُلُوبكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) .(١)

ولو سبرنا أقوال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته العملية نلمس منها اهتماماته الكبيرة بتوحيد الكلمة ولمّ الشمل، فانّ الوحدة هى دعامة القوة والرفاه ونيل السعادة، كما أنّ التفرقة هى بوَرة الضعف والشقاء والاندحار_____.

١ ـ آل عمران|١٠٣.

ولنقتصر من سيرته وكلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) على الاُمور التالية:

أ. قدِم النبيص يثرب، و الاَوس و الخزرج يقودان جمله وشبّانهم يطوفون حوله وكانت القبيلتان هما الحجر الاَساس لبناء الدعوة الاِسلامية، ولكن كان بين الطائفتين قبل اعتناق الاِسلام حروب طاحنة أسفرت عن مصرع العديد منهم و كانت البغضاء والعداوة متفشية بينهم، وفى تلك الظروف هبط عليهم النبيورأى ضرورة رأب الصدع وتقريب الخطى بين القبيلتين بل جعْلَهما اخوين متحابين ومتراحمين.

فأوّل خطوة قام بها هى التآخى بينهما حسماً لمادة الخلاف وإنساءً للماضى.(١)

ب. انتصر المسلمون على قبيلة بنى المصطلق، فبينا رسول اللّه على مائهم نشب النزاع بين رجل من الاَنصار ورجل من المهاجرين، فصرخ الاَنصارى، فقال: يا معاشر الاَنصار، وصرخ الآخر، وقال: يا معشر المهاجرين، فلما سمعهما النبيصقال: دعوها فانّها منتنة...(٢) يعنى انّها كلمة خبيثة، لاَنّها من دعوى الجاهلية، واللّه سبحانه جعل المؤمنين إخوة وصيّرهم حزباً واحداً، فينبغى أن تكون

---

١ ـ الدر المنثور:٢|٢٨٧، تفسير الآية ١٠٣ من سورة آل عمران، نقل عن مقاتل بن حيان انّ هذه الآية نزلت فى قبيلتين من قبائل الاَنصار، إلى أن قال: فقدم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فأصلح بينهم.

٢ ـ ابن هشام: السيرة النبوية:٣|٣٠٣، غزوة بنى المصطلق.

(۹)

الدعوة فى كلّ مكان وزمان لصالح الإِسلام والمسلمين عامة، لا لصالح قوم ضد الآخرين، فمن دعا فى الإِسلام بدعوى الجاهلية يعزر. فالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يصف كلّدعوة تشقّ عصا المسلمين وتمزق وحدتهم بأنّها دعوى منتنة، وكيف لا تكون كذلك وهى توجب انهدام دعامة الكيان الإِسلامى.

ج. نزل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) دار هجرته والتفت حوله القبيلتان: الأَوس والخزرج، فمرَّ شاس بن قيس ـ الذى كان يحمل فى قلبه ضغناً للمسلمين ـ على نفر من أصحاب رسول اللّه ص من الأَوس والخزرج فى مجلس يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من أُلفتهم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإِسلام، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية.

فقال: قد اجتمع ملأَ بنى قيلة بهذه البلاد، لا واللّه ما لنا معهم إذا اجتمع ملوَهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من اليهود كان معهم، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، ثمّ اذكر يوم بُعاث، يوم إقتتلت فيه الأَوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأَوس على الخزرج، وكان على الأَوس يومئذ حُضير بن سماك الأَشهلى، وعلى الخزرج عمرو بن النُّعمان البياضى، فقتلا جميعاً.

دخل الشاب اليهودى مجتمعَ القوم فأخذ يذكر مقاتلتهم ومضاربتهم فى عصر الجاهلية فأحيى فيهم حميَّتها حتى استعدُّوا للنزاع والجدال، وأخذ الشاب يوَجج نار الفتنة.

(۱۰)

فبلغ ذلك رسول اللّهص فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، حتى جاءهم فقالص: يا معشر المسلمين! اللّه، اللّه، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم اللّه بالإِسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم من الكفر وألّف به بين قلوبكم.(۱)

وقد تركت كلمة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقعاً فى نفوسهم، حيث فطنوا إلى أنّها نزعة من نزعات الشيطان، فندموا على ما وقع منهم ثمّ انصرفوا.

انّ كلمة الرسول، كشفت القناع عن الخدعة اليهودية، وأطفأت نار الفتنة فى مهدها، ودخلت فى القلوب المؤمنة وصيّرتهم إخواناً متحابِّين.

هذه القصة وكم لها من نظير تعكس لنا المحاولات المستميتة التى يبذلها أعداء الإِسلام بغية الإِطاحة بوحدة المسلمين وتمزيق شملهم.

ولو كان فى عصر الرسول شاس أو شاسان من اليهود، ففى الوقت الحاضر المئات بل الأُلوف منهم جنّدوا قواهم الشيطانية، وأثاروا النعرات الطائفية بين المسلمين من خلال طرح مسائل هامشية لتكدير صفوهم.

إنّ أساليب الأَعداء فى إثارة الفتن لا تعدُّ ولا تُحصى، ولهم مخططات مختلفة حسب ما تقتضيه الظروف والبيئات.

---

۱ ـ انظر السيرة النبوية: ۱|۵۵۵ـ۵۵۶، ط عام ۱۳۷۵هـ

(۱۱)

فالعقل يفرض على المسلمين رصَّ صفوفهم، وتوحيدَ كلمتهم بغية الوقوف أمام تلك الخُطط والمؤامرات .

إنّ مسألة التوحيد ونبذ الشرك من المسائل الهامّة التى تعد الهدف الأَسنى للأَنبياء والمرسلين وكبار المصلحين. فالتوحيد رمز الإِسلام وعزّة المسلمين .

هذا ومع الاعتراف بأهميته ولكن وجدت ـ من خلال البحث فى التوحيد والشرك ـ مسائل هامشية صارت ذريعة للاختلاف ووسيلة للتشتت فآثرنا فى هذه الرسالة المتواضعة استنطاق القرآن الكريم فى هذه المسائل والاستنارة بنور السنة النبوية التى اتفق المسلمون

على كونها المصدر الثانى للعقيدة والشريعة بعد الذكر الحكيم.

وأخيراً ندعو المجتمع الاِسلامى إلى ما دعا به القرآن الكريم، وقال: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) .

فالمسلمون ملّة واحدة يجمعهم إله واحد، وكتاب واحد، ودين واحد، وشريعة واحدة فما يجمعهم أكثر ممّا يفرقهم.

والجميع كما يقول شاعر الاهرام:

انّا لتجمعنا العقيدة أمّة * ويضمّنا دين الهدى أتباعا

ويؤلف الاِسلام بين قلوبنا * مهما ذهبنا فى هوى أشياعا جعفر السبحانى

(۱۲) (۱۳)

الفصل الاَوّل

الفصل الاَوّل تحديد الاِيمان والكفر الاِيمان عبارة عن الاِذعان باللّه سبحانه واليوم الآخر ورسالة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فهذه الاُمور الثلاثة تشكِّل دعامات الاِيمان وأركانه، وما سواها ترجع بشكل إليها.

نعم لما كان ما خلَّف النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من تراث فى مجال المعارف والاَحكام ضخماً لا يمكن استحضاره فى الضمير ثمّ التصديق به، اضطرّ العلماء إلى تقسيم ما جاء به النبيإلى قسمين: قسم معلوم بالتفصيل كتوحيده سبحانه والحشر يوم المعاد فى مجال العقائد، ووجوب الصلاة والزكاة ونحوهما فى مجال الاَحكام، وقسم منه معلوم بالاِجمال نعلم وروده فى الكتاب والسنّة، فلا محيص للموَمن أن يوَمن بالاَوّل على وجه التفصيل، وبالثانى على وجه الاِجمال.

قال عضد الدين الايجى: الاِيمان: التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيها علم إجمالاً.(۱)

---

۱ ـ الايجى، المواقف، ص ۳۸۴.

(۱۴)

وبعبارة أوضح: أنّ ما جاء به الرسولص إمّا أن يعلم به بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة والجهاد والحج، وإمّا أن لا يعلم به كذلك.

فالموَمن هو الذى يعتقد بصحّة كلّ ما بعث به الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى اُمّته، غير انّ المعلوم بالضرورة، يوَمن به تفصيلاً و ما لم يعلم، يوَمن به على وجه الاِجمال.

ويظهر ممّا تقدم انّ الاِيمان يتجلّى فى اُصول ثلاثة:

الاَصل الاَوّل: الاِيمان باللّه سبحانه وتوحيده.

الاَصل الثانى: الاِيمان بالآخرة وحشر الناس فى اليوم الموعود.

الاَصل الثالث: الاِيمان برسالة الرسولص وما جاء بها.

والاعتقاد بهذه الاُصول الثلاثة يورث الاِيمان ويدخل الاِنسان فى حظيرته ويتفَّىَ فى ظلاله وظلال الاِسلام.

هذا ما عليه علماء الاِسلام دون فرق بين طائفة واُخرى، وقد آثروا فى ذلك ما روى عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى غير و احد من المواقف.

۱. روى الاِمام على بن موسى الرضا (عليهما السلام)، عن آبائه، عن على (عليهم السلام)، قال: «قال النبى ص: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ اللّه، فإذا قالوا حرمت علىَّ دماوَهم وأموالهم».(۱_____)

۱ ـ البحار: ۶۸|۲۴۲.

(۱۵)

۲.أخرج الشيخان، عن عمر بن الخطاب، انّعليّاً صرخ: يا رسول اللّه على ماذا، أقاتل؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلّا اللّه وانّ محمّداً رسول اللّه، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم على اللّه».(۱)

۳. روى أبو هريرة انّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«لا أزال أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّااللّه، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على اللّه».(۲) إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أنّ محور الاِسلام والكفر كلمة «لاإله إلّااللّه ومحمد رسول اللّه» و لو اقتصر فى بعض على أصل واحد ولم يذكر المعاد وحشر الناس أو لم يذكر رسالته فلوضوحهما.

نعم، ليس الاِيمان بالأُصول الثلاثة فقط مورثاً للسعادة، ومنقذاً عن العذاب والعقاب، بل لابدّ من انضمام العمل إليه واقترانه بامتثال أوامره ونواهيه فى الكتاب والسنّة، وذلك من الوضوح بمكان، وقد وردت فى هذا الصدد روايات عديدة نقتصر على قليل منها:

۱. روى عبد اللّه بن عمر قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«بنى الاِسلام على خمس: شهادة أن لاإله إلّا اللّه وانّمحمّداً

---

۱ ـ صحيح البخارى: ۱|۱۰، كتاب الاِيمان ؛ صحيح مسلم: ۷|۱۷، كتاب فضائل على «عليه السلام».

۲ ـ الشافعى: الاُمّ: ۶|۱۵۷، اقرأ كلامه فيه حول هذا الموضوع.

(۱۶)

رسول اللّه، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحجّ، وصوم شهر رمضان».(۱)

۲. ما روى عن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) متضافراً انّه قال:

«من شهد أن لاإله إلّا اللّه، و استقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم».(۲)

وعلى ضوء ذلك فالذى يميز المؤمن عن الكافر هو الاعتقاد بالاُصول الثلاثة، وأمّا ما يوجب السعادة الاُخروية فهو فى ظلّ العمل بالواجبات والانتهاء عن المحرمات.

ويشير إلى الاَمر الاَوّل ما مرّ من الروايات التى تركِّز على العقيدة ولا تذكر من العمل شيئاً. كما تشير إلى الاَمر الثانى الروايات التى تركز على العمل وراء العقيدة.

إذا عرفت ما يُخرج الاِنسان من الاِيمان ويدخله فى الكفر ،يعلم منه انّه لا يصح تكفير فرقة من الفرق الاِسلامية مادامت تعترف بالأُصول الثلاثة.وفى الوقت نفسه لا تنكر ما علم كونه من الشريعة بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وأمثالهما.

هذا ما نصّ عليه جمهور المتكلمين والفقهاء.(۳)

وها نحن نذكر بعض الشواهد على هذا الموضوع_____.

۱ ـ صحيح البخارى: ۱|۱۶، باب أداء الخمس من كتاب الاِيمان.

۲ ـ ابن الاَثير: جامع الاُصول: ۱|۱۵۸.

۳ ـ لاحظ المواقف للايجى: ۳۹۲.

(۱۷)

۱. قال ابن حزم عندما تكلّم «فيمن يُكفَّر و لا يكفر»:

«وذهبت طائفة إلى انّه لا يُكفَّر ولا يُفسَّق مسلم بقول قاله فى اعتقاد أو فتيا، وانّ كلّ من اجتهد فى شىء من ذلك فدانَ بما رأى انّه الحقّ فانّه مأجور على كلّحال، إن أصاب الحق فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد.وهذا قول ابن أبى ليلى، وأبى حنيفة، والشافعى، وسفيان الثورى، وداود بن على وهو قول كلّ من عرفنا له قولاً فى هذه المسألة من الصحابة (رضوان اللّه عليهم) ما نعلم منهم فى ذلك خلافاً

أصلاً».(۱)

۲. وقال شيخ الاِسلام تقى الدين السبكى: إنّ الاِقدام على تكفير المؤمنين عسر جداً، وكلّ من فى قلبه إيمان، يستعظم القول بتكفير أهل الاَهواء والبدع مع قولهم لاإله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه، فانّ التكفير أمر هائل عظيم الخطر.(۲)

۳. وقال أحمد بن زاهر السرخسى الاَشعرى: لما حضرت الوفاةُ أبا الحسن الاَشعرى فى دارى ببغداد أمر بجمع أصحابه ثمّ قال: اشهدوا على أنّنى لا أُكفِّرُ أحداً من أهل القبلة بذنب، لاَنّى رأيتهم كلّهم يشيرون إلى معبود واحد والاِسلام يشملهم ويعمهم.(۳)

---

۱ ـ ابن حزم: الفصل: ۳|۲۹۱.

۲ ـ الشعرانى:، اليواقيت والجواهر:۲|۱۲۵، ط عام ۱۳۷۸هـ

۳ ـ الشعرانى: اليواقيت والجواهر:۲|۱۲۶.

۴. وقال التفتازانى: إنّ مخالف الحقّ من أهل القبلة ليس بكافر مالم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الاَجساد، واستدل بقوله: إنّ النبى و من بعده لم يكونوا يفتشون عن العقائد وينبهون على ما هو الحقّ.(۱) السنّة النبوية وتكفير المسلم قد وردت أحاديث كثيرة تنهى عن تكفير المسلم الذى أقر بالشهادتين فضلاً عمّن يمارس الفرائض الدينية، وإليك طائفة من هذه الروايات:

۱. بنى الاِسلام على خصال: شهادة أن لا إله إلاّاللّه، وانّمحمّداً رسول اللّه، والاقرار بما جاء من عند اللّه، و الجهاد ماض منذ بعث رسله إلى آخر عصابة تكون من المسلمين...فلا تكفروهم بذنب ولا تشهدوا عليهم بشرك».(۲)

۲. أخرج أبو داود عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «أيّما رجل مسلم أكفر رجلاً مسلماً فإن كان كافراً وإلاّ كان هو الكافر».(۳)

---

۱ ـ التفتازانى: شرح المقاصد:۵|۲۲۷.

۲ ـ كنز العمال:۱|۲۹، برقم ۳۰.

۳ ـ سنن أبى داود:۴|۲۲۱، برقم ۴۶۸۷، كتاب السنة.

۳. أخرج مسلم، عن نافع، عن ابن عمر، انّ النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: «إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما».(۱)

۴. أخرج مسلم، عن عبد اللّه بن دينار، انّه سمع ابن عمر، يقول: قال رسول اللّه ص: «أيّما امرءٍ قال لاَخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، وإلاّ رجعت عليه.(۲)

۵. عقد البخارى باباً باسم «المعاصى من أمر الجاهلية ولا ـ يكفر صاحبها بارتكابها إلاّ بالشرك»، يقول النبى ص: إنّك امرء فيك جاهلية، وقول اللّه: (إِنَّ اللّهَ لا يغفرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ) .(۳)(۴)

۶. أخرج الترمذى فى سننه عن ثابت بن الضحاك، عن النبى ص قال: «ليس على العبد نذر فيما لا يملك، ولا عن المؤمن كقاتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله».(۵)

۷. أخرج ابو داود عن أُسامة بن زيد قال: بعثنا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

۱ ـ صحيح مسلم: ۱|۵۶، باب «من قال لاَخيه المسلم يا كافر» من كتاب الاِيمان.

۲ ـ صحيح مسلم: ۱|۵۷، باب «من قال لَاخيه المسلم يا كافر» من كتاب الاِيمان، وأخرجه الاِمام أحمد فى مسنده:۲|۲۲و ۶۰و ۱۴۲؛ وأخرجه الترمذى فى سننه: ۵|۲۲ برقم ۲۶۳۷، كتاب الاِيمان.

۳ ـ النساء|۴۸.

۴ ـ صحيح البخارى: ۱|۱۱، باب «المعاصى من أمر الجاهلية» من كتاب الاِيمان.

۵ ـ سنن الترمذى: ۵|۲۲ برقم ۲۶۳۶، كتاب الاِيمان.

(۲۰)

سرية إلى الحرقات، فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلًا فلمّا غشيناه قال: لا إله إلّا اللّه، فضربناه حتى قتلناه فذكرته للنبيص فقال: «من لك بلاـ إله إلّااللّه يوم القيامة؟» قال: قلت: يا رسول اللّه، إنّما قالها مخافة السلاح والقتل، فقال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا ؟ من لك بلا إله إلّا اللّه يوم القيامة؟» قال: فمازال يقولها حتى وددت انّى لم أسلم إلّا يومئذ.(۱)

۸.لما خاطب ذو الخويصرة الرسول الَاعظمص بقوله: اعدل، ثارت ثورة من كان فى المجلس، منهم خالد بن الوليد قال: يا رسول اللّه الا أضرب عنقه؟ فقال رسول اللّه ص: «لا، فلعله يكون يصلّى» فقال: إنّه رب مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنّى لم أُوَمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم».(۲)

وعلى ضوء هذه الَاحاديث المتضافرة والكلمات المضيئة عن الرسولص وعلمائنا السابقين المقتفين أثره يعلم انّ تكفير مسلم ليس بالاَمر الهيّن بل هو من الموبقات، قال سبحانه: (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ)(۳)

لم يزل المسلمون منذ قرون غرضاً لَاهداف المستعمرين

---

۱ ـ سنن أبى داود:۳|۴۵برقم ۲۶۴۳؛ صحيح البخارى: ۵|۱۴۴، باب بعث النبى اسامة بن زيد إلى الحرقات من كتاب المغازى.

۲ ـ صحيح البخارى: ۵|۱۶۴، باب بعث على وخالد بن الوليد من كتاب المغازى.

۳ ـ آل عمران|۱۰۵.

(۲۱)

ومخطَّطاتهم فى بث الفرقة بين صفوفهم وجعلهم فرقاً وأُمما متناحرة ينهش بعضهم بعضاً، وكأنّهم ليسوا من أُمّة واحدة كلّ ذلك ليكونوا فريسة سائغة للمستعمرين.وبالتالى ينهبوا ثرواتهم ويقضوا على عقيدتهم وثقافتهم الاِسلامية بشتى الوسائل، ولَاجل ذلك نرى انّه ربما يُشعلون نيران الفتن لَاجل مسائل فقهيةلا تمسّ إلى العقيدة بصلة فيكفِّر بعضهم بعضاً مع أنّالمسائل الفقهية لم تزل مورد خلاف ونقاش بين الفقهاء، فمثلًا:

فى مسألة قبض اليد اليسرى باليمنى أقوال فمن قائل بالاستحباب، إلى آخر قائل بالكراهة، إلى ثالث قائل بالتحريم. فلكل مجتهد رأيه فلا يجوز لفقيه أن يكفر فقيهاً أو اتباعه فى مسألة القبض، وقس على ذلك مسائل كثيرة تعد من الَاحكام وللاجتهاد فيها مجال واسع.

ونظير ذلك بعض المسائل العقائدية التى ليست من ضروريات الاِسلام بل للعقل والاستدلال دور فى تحقيقها، مثلًا:

عصمة الَانبياء قبل البعثة أو بعدها، أو حدوث القرآن وقدمه، أو صفاته تعالى عين ذاته أو زائد عليها، فليست هذه المسائل محور التوحيد والشرك والاِيمان والكفر ولكلّ محقق، عقيدته ودليله ولا يجوز لآخر تكفيره، ويكفى فى ذلك، الاعتقاد بما جاء به النبيإذا لم يكن من أهل التحقيق.

(۲۲)

وبما ذكرنا يعلم انّ تكفير طائفة ، طائفة أُخرى لمسائل فقهية أو عقائدية لم يثبت كونها من ضروريات الدين، أمر محظور وزلّة لا

تغتفر وخدمة للاستعمار الغاشم لا غير.

ونحن لا نريد الإطالة فى الكلام وتكثير الأمثلة، و تكفى فى الاطلاع دراسة وضع المسلمين وتشتتهم ضمن اختلاف بعضهم مع بعض فى فروع فقهية أو عقائدية ليست من الضروريات.

الفصل الثانى

الفصل الثانى التوحيد، مراتبه و أقسامه التوحيد ونبذ الشرك من أهمّ المسائل العقائدية التى تصدَّرت المفاهيم والتعاليم السماوية على الإطلاق، ويعدّ أساساً لسائر المعارف الإلهية التى جاء بها رسل اللّه فى كتبهم وكلماتهم.

وبما انّ للتوحيد مراتب بيّنها علماء الإسلام فى كتبهم العقائدية نأتى بها على سبيل الإجمال ونردف كلّ قسم منها بآية أو آيات قرآنية ثمّ نبحث باسهاب عن التوحيد فى العبادة الذى هو آخر مراتبه.

فنقول: إنّ للتوحيد أقساماً: الأوّل: التوحيد فى الذات

والمراد منه هو انّه سبحانه واحد لا نظير له، فرد لا مثيل له، بل يمتنع أن يكون له نظير أو مثيل ، قال سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصير) .(۱)

---

۱ ـ الشورى| ۱۱.

(۲۴)

وقال سبحانه: (قُلْ هُوَ اللّه أَحَد* اللّهُالصَّمَد* لَمْ يَلِدْوَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد) .(۱) الثانى: التوحيد فى الخالقية

والمراد انّه ليس فى صحيفة الوجود خالق غير اللّه سبحانه، ولا مؤثر سواه، وانّ ما فى الكون من السماوات والأرض والجبال والبحار والعناصر والمعادن والنباتات والأشجار فهو مخلوق للّه سبحانه، فوجودها وأفعالها وآثارها كلّها مخلوقة للّه تبارك و تعالى.

فالشمس وحرارتها، والقمر وإنارته، والنار وإحراقه وغير ذلك من الفواعل والأسباب كلّها مخلوقة للّه تبارك وتعالى مع آثارها ومسبباتها، قال سبحانه: (قُلِ اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ القَهّار) (۲) . وقال سبحانه: (اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيل)(۳) وقال تعالى: (ذلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إلهَ إلّاهُوَ خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ) .(۴) لكن جرت مشيئته على خلق الأشياء عن طريق أسبابها فكون العالم كله مخلوقاً للّه سبحانه ليس بمعنى إنكار علاقة السببية ، كما سيوافيك_____ .

۱ ـ الاخلاص| ۱ـ۴.

۲ ـ الرعد| ۱۶.

۳ ـ الزمر| ۶۲.

۴ ـ الأنعام| ۱۰۲.

(۲۵) الثالث: التوحيد فى الربوبية

والمراد منه انّ للكون مدبراً واحداً متصرفاً كذلك لا يشاركه فى التدبير شىء فهو سبحانه المدبر الوحيد للكون على الإطلاق، قال سبحانه: (إنّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذى خَلَقَالسَّماواتِ وَالأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيّام ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْر) (۱) وقال سبحانه: (اللّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرونَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَر كُلٌّ يَجْرى لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْر) .(۲)

تجد انّه سبحانه يذكر بعد خلق السماوات والأرض، تدبير أمر الخلقة، وربوبيّتها فيُحصره فى ذاته فلا مدبِّر ولا ربّ إلّا هو، فيكون الخالق هو الموجد، والرب والمدبر لأمر الخلقة ودوامها واستمرارها.

نعم ثمّة سؤال وهو انّه إذا لم يكن مدبر سواه فما معنى قوله سبحانه:(فَالمُدبِّراتِ أَمْراً) (۳) أو قوله تعالى: (وَهُوَ الْقاهِرُ فَوقَ عِبادِهِ

وَيُرْسِلُ عَلَيْكَمْ حَفَظَةً) (۴) فانّ الحفظة جمع «الحافظ» وهم الذين يحفظون العباد ويدبّرون شوَون حياتهم،أفهناك تناف بين هذا الاثبات والحصر السابق_____؟!

۱ ـ يونس|۳.

۲ ـ الرعد|۲.

۳ ـ النازعات|۵.

۴ ـ الاَنعام| ۶۱.

(۲۶)

والجواب انّ من كان ملمّاً بحقائق القرآن وعارفاً بلسانه يقف على عدم وجود أيّ تناقض وتناف بين ذلك النفى وهذا الإثبات، وذلك لاَنّ الهدف من حصر التدبير باللّه سبحانه هو حصره به على وجه الاستقلال، أى من يدبر بنفسه غير معتمد على شىء.

وأمّا المثبت لتدبير غيره، فيراد منه انّه يدبر بأمره وإذنه وحوله وقوته على النحو التبعى فكل مدبر فى الكون من ملك وغيره فهو مظهر أمره ومنفِّذ إراداته.

وليس هذا بعزيز فى القرآن ترى أنّه سبحانه ينسب فعلاً لنفسه وفى الوقت نفسه ينسبه لشخص آخر، ولا تناقض، لاختلاف النسبتين فى الاستقلال والتبعية، قال سبحانه: (اللّهُ يَتَوَفى الاَنْفُسَ حينَ مَوتِها)(۱) و قال: (حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) .(۲)

فالتوفّى على وجه الاستقلال هو فعله سبحانه، وأمّا التوفّى بحوله وقدرته وإرادته وأمره فهو فعل الرسل.

وبعبارة أُخرى: هناك فعل واحد وهو التوفّى، يُنسب إلى اللّه بنحو وإلى رسله بنحو آخر، دون أىّ تناف وتنافر بين هذين النسبتين.

ونظيره قوله سبحانه: (وَاللّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُون) (۳) وفى الوقت

---

۱ ـ الزمر|۴۲.

۲ ـ الاَنعام| ۶۱.

۳ ـ النساء|۸۱.

(۲۷)

نفسه يعتبر الملائكة كَتَبَة الاَعمال ويقول: (بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِم يَكْتُبُونَ) .(۱)

وبذلك تقف على معنى التوحيد فى التدبير والتأثير، وليس معناه خلوّ كلّ موجود من التأثير وانّ آثار الاَسباب تفاض من اللّه سبحانه بلا واسطة، بل معناه انّالآثار والمسببات، للاَسباب نفسها، فالشمس مضيئة، والقمر منير والنار محرقة حقيقة، ولكن بجعل منه سبحانه، فالجميع من مظاهر أمره وإرادته.

ومن زعم انّ معنى التوحيد فى الربوبية هو نفى الآثار عن الاَسباب فقد نازع وجدانه، كما نازع الوحى المبين حيث إنّه يثبت الاَثر الطبيعى لكلّ سبب وفى الوقت نفسه يربطهما باللّه سبحانه، قال:(الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الاَرْضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بِناءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماء ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للّهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون) .(۲)

تجد انّ الوحى اعترف بسببية الماء لخروج الثمرات الطيّبة وليست هذه الآية وحيدة فى هذا الباب، بل فى القرآن الكريم نماذج من هذا النوع، قال سبحانه: (وَفِى الاَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوان يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِى الاُكُلِ إِنَّ فى ذلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يعْقِلُونَ) .(۳)

---

۱ ـ الزخرف|۸۰.

۲ ـ البقرة| ۲۲.

۳ ـ الرعد| ۴.

(۲۸)

فتستدلّ الآيـة على أنّ تـدبيره سـبحانه فوق تـدبير الفواعل الطبيعيـة، وذلك بشـهادة انّ الجنات تثمر أثماراً مختلفة مع وحدة الشـرائط والظروف المحيطة بها من وحدة الماء والاَرض، وهذا يدل على أنّ وراء الاُمور الطبيعية والاَسباب المادية مدبراً فوقها، وعلى الرغم من هذا الاعتراف إلاّ انّه لا ينفى تأثير العوامل الطبيعية من دون أن يراها كافية فى خلق هذا التنوّع.

هـذا هـو منطـق القرآن فى التوحيـد والتـدبير والربوبيـة، فمن أراد التفصـيل فليرجـع إلى الكتب العقائديـة. الرابع: التوحيـد فى التشـريع والتقنين

والمراد منه انّ التشـريع والتقنين للاِنسان حقّمختص باللّه تبارك وتعالى فهو المشـرِّع الوحيـد للمجتمع الاِنسانى ولا يحق لاَحد التقنين. قال سـبحانه: (إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ للّه أَمَرَأَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ) (۱) والمراد من حصر الحاكمية باللّه هو حصر الحاكمية التشريعية، فالآية تهدف إلى أنّه لا يحق لاَحد أن يأمر وينهى ويحرِّم ويحلِّل سوى اللّه سـبحانه ولاَجل انّ المراد من الحكم المختصّ باللّه سـبحانه، هو التشـريع أردفه بقوله: (أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ) فالمراد من الاَمر هنا هو الاَمر التشريعى.

وقال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ

---

۱ ـ يوسف| ۴۰.

(۲۹)

حُكْمـاً لِقَومٍ يُوقِنُون) (۱) فالآيـة تقسِّم القوانين إلى : إلهيـة وجاهليـة، وبما انّ ما كان من صـنع الفكر البشـرى ليس إلهياً فيكون حكماً جاهلياً البتة. الخامس: التوحيد فى الطاعة

والمراد انّه لا يجب طاعة سوى اللّه تعالى، فهو وحده يجب أن يُطاع وأن تمتثل أوامره ونواهيه، وأمّا طاعة غيره فتجب بإذنه وأمره وإلاّ كانت محرمة موجبة للشـرك فى الطاعة، قال سبحانه: (وَما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَمُخْلِصينَ لَهُ الدِّين) (۲) والدين فى الآية بمعنى الطاعة أى مخلصين الطاعة له ولا يطيعون غيره.

نعم تجب طاعة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لاَمره تعالى، قال سبحانه: (وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍإِلاّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللّه).(۳)

وفى آية أُخرى عُدَّت طاعة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من مظاهر طاعة اللّه وقال: (وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُول فَقَدْ أَطاعَ اللّه).(۴)

وعلى ضوء ذلك فإطاعة النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) وأُولى الاَمر والوالدين إنّما هو بإذنه وأمره سـبحانه ولولاه لم تكن طاعتهم واجبة، بل ولا الانقياد لاَوامرهم جائزة فهناك مطاع بالذات وهو اللّه وغيره مطاع بالعرض وبأمره_____.

۱ ـ المائدة| ۵۰.

۲ ـ البينة| ۵.

۳ ـ النساء| ۶۴.

۴ ـ النساء| ۸۰.

(۳۰) السادس: التوحيد فى الحاكمية

والمراد منه انّالحكم على الناس حقّ مختص باللّه تبارك و تعالى، و حكومة الغير يجب أن تنتهى إلى اللّه تبارك و تعالى، وذلك لاَنّ الحكومـة والحاكميـة فى المجتمع لا ـ تنفـك عن التصـرف فى النفوس والاَـموال وتحديـد الحريـات وذلـك فرع ولايـة، للحاكم على المحكوم ولولاها لعـدَّ التصـرف عدواناً وممّا لا شكّ فيه انّ الولاية للّه المالك الحقيقى للاِنسان الخالق له، والمدبر له، فلا يحقّ لاَحد

الاِمرة على العباد إلّا بإذن منه سبحانه.

قال سبحانه: (إِنِ الْحُكْمُ إِلّا للّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفاصِلينَ).(۱) وقال سبحانه: (أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبينَ) (۲) فالحكومة على الناس ـ سواء أكانت بصورة القضاء وفضِّ الخصومة أو بصورة الاِمرة ـ حقّ للّه، وغيره يمارسها بإذنه وإلّا فيكون من قبيل حكم الطواغيت الذى شجبه القرآن فى أكثر من آية. السابع: التوحيد فى العبادة

والمراد منه حصر العبادة باللّه سبحانه وهذا هو الاَصل المتفق عليه بين جميع طوائف المسلمين فلا يكون المسلم مسلماً

---

۱ ـ الاَنعام|۵۷.

۲ ـ الاَنعام|۶۲.

إلّا بعد الاعتراف بهذا الاَصل، وشعار المسلمين الذى يردّدونه كل يوم هو قوله سبحانه: (إِيّاكَ نَعْبُدُ) فعبادة غيره إشراك للغير مع اللّه فى العبادة، موجبة لخروج المسلم عن ربقة الاِسلام.

وثمة أمر آخر وهو انّالضابطة الكلية ـ حصر العبادة باللّه سبحانه ـ أمر لا غبار عليه، لكن ثمة أُموراً ربما يتصور انّها من قبيل العبادة لغير اللّه، وهذا ما سنتطرق إليه فى الفصل الخامس، وعلى ذلك فالنزاع ليس كبروياً بل صغروى، أى لا نزاع لاَحد فى أنّه لا تجوز عبادة غيره، وإنّما الكلام فى أنّ هذا الاَمر هل هو عبادة غيره سبحانه أو لا ؟

مثلاً هل إقامة الاحتفالات فى الاَعياد والمهرجانات الدينية عبادة لصاحب الذكرى، أو هو تكريم وتبجيل وتعظيم له، فلو كانت عبادة تكون محرمة وشركاً بلا شك، ولو كان تكريماً وتعظيماً له يكون أمراً جائزاً بل مستحباً.

وهناك أمثلة أُخرى ستمر عليك فى الفصل الخامس،غير انّ المهم فى المقام هو تفسير العبادة تفسيراً منطقياً وتحديدها تحديداً دقيقاً ليعلم من خلالها ما هو الداخل تحتها أو الخارج عنها.

وهذا هو الذى يتكفل بيانه الفصلان التاليان.(۱_____)

۱ ـ أحدهما يتضمن بيان حقيقة العبادة ومقوماتها و الآخر يتضمن تعريف العبادة، والاَوّل مقدمة للآخر.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

حقيقة العبادة ومقوِّماتها

إنّ مفهوم العبادة من المفاهيم الواضحة كالماء والاَرض لكن مع وضوح مفهومهما ربما يصعب التعبير عن حقيقتهما فى قالب الاَلفاظ.

وهكذا مفهوم العبادة من المفاهيم الواضحة مفهوماً ومصداقاً، ولكن ربما يصعب تحديدها تحديداً منطقياً يكون جامعاً للاَفراد ومانعاً للاَغيار مع وضوح مصاديقها غالباً.

فخضوع العاشق الولهان للمعشوق، أو الجندىّ لرئيسه، وشدُّ الرحال إلى زيارة كبار الشخصيات كلّها خضوع وخشوع وليست بعبادة.

والرجوع إلى اللغة لا يسمن ولا يغنى من جوع، لاَنّ أصحاب المعاجم لم يكونوا بصدد تحديد مفهوم العبادة حتى يُتخذ ما ذكروه مقياساً وتعريفاً جامعاً ومانعاً. فانّهم فسروه بالخضوع والتذلّل وما شابههما.

يقول ابن منظور فى لسان العرب: أصل العبودية الخضوع

والتذلّل.

ويقول الراغب فى المفردات: العبوديّة: التذلّل، والعبادة أبلغ منها لَانّها غاية التذلّل.

وفى القاموس المحيط: العبادة: الطاعة.

إلى غير ذلك من التعاريف المتقاربة .

و من المعلوم انّ هـذه تعـاريف بالمعنى الاَعم، إذ ليس مجرّد الخضوع والتـذلّل ولا غايتهما حـداً للعبادة، فانّ حبّ العاشق للمعشوق لا يعد عبادة له ، كما انّتقبيل المصـحف الكريم ليس عبادة للكتاب، وأوضح من ذلك انّ سـجود الملائكة لآدم، كقوله سبحانه: (فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلاّإِبْليسَ أَبى) (۱) وسجود النبى يعقوب (عليه السلام) وزوجه وأولاده ليوسف (عليه السلام) ، كما فى قوله سبحانه: (وَرَفَعَ أَبَوْيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً) (۲) لم يكـ عبادة للمسجود له، أعنى آدم أبا البشر ولا النبى يوسف «عليه السلام» .

وقد بلغ خضوع الصـحابة للنبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) بمكان انّهم كانوا يتبركون بفضل وضوئه وشعر رأسه، والاِناء الذى يشرب منه الماء، والمنبر الـذى كان يجلس عليه، ومن الواضح انّ هذا النوع من التبرّك غاية الخضوع منهم للنبى «صـلى الله عليه وآله وسـلم» ومع ذلك لم يبلغ حدَّ العبادة ولم يصفهم أحد بأنّهم كانوا

---

۱ ـ الحجر| ۳۰ـ۳۱.

۲ ـ يوسف| ۱۰۰.

(۳۵)

يـألّهون النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ويعبـدونه كلّـذلك يجرّنا إلى أن نقوم بتعريفها حتى يعم جميع المصاديق ويمنع عن دخول غيرها.

والطريق الواضح لحلّ هذه المعضـلة هو الوقوف على مقومات العبادة و إمعان النظر فى العبادات الصـحيحة التى قام بها المسلمون على مرّ العصـور، وفى العبـادات والطقـوس الباطلـة الـتى كـانت تُمـارَس من قِبَـل الـوثنيين فى الجاهليـة والعصـر الحاضـر حـتى نقـف على الخصوصيات المكنونة فى عمل الجميع والتى على ضوئها تطلق عليها عبادة، إذاً فتحليل أعمالهم والوقوف على الميزات الموجودة فيها والخصوصـيات الكامنـة يوقفنـا أوّلاً ـ على حقيقـة العبـادة، ويرسم لنـا ثانياً تعريفاً جامعاً ومانعاً على نحو يكون مقياساً لتمييز العبادة عن غيرها.

وإليك تحليلها:

لا شكّ انّ الجامع بين جميع أقسام العبادات صـحيحها وباطلها هو الخضوع للمعبود سواء أكان مستحقاً له كاللّه سبحانه أو غير مستحق له كالاَصـنام والاَوثـان أو الاَـجرام السـماوية من النجم والقمر والشـمس والاَـرواح والمثـل النوريـة المجردة، فالعبـادة فى جميع تلك المراحـل تتمتع بـالخضوع وهو عمـل قائم بالجوارح كالرأس واليـد وغيرهما، فالعابـد يخضع بجلّ جوارحه أو بشـىء منها أمام المعبود وهذا أمر لاسترة فيه.

ولكن هناك خصوصية أُخرى موجودة فى الجميع وهو أمر

(۳۶)

قـائم بالضـمير و القلب ولعلّه الاَسـاس لِاضـفاء العبـادة على العمل الجارحى، وهى عبارة عن اعتقاد خاص بالمعبود الـذى يكون مبـدأً للخضوع الظاهرى.

فالواجب علينا بيان تلك الخصوصية الموجودة فى جميع الاَقسام وإليك التوضيح:

أمّا الموحـدون الـذين يعبدون اللّه تبارك و تعالى، فخضوعهم نابع عن اعتقادهم بأنّه خالق للكون والاِنسان، والمدبر للعالم الذى بيده كلّ شىء فى الدنيا والآخرة، وليس هناك أى خالق ومدبر ومالك لمصالح العباد ومصائرهم فى العاجل والآجل سواه.

أمّا العاجل فيعتقدون أنّ الخلق والتدبير والاحياء والاماتة و انزال المطر والخصب و الجدب وكلّما يعدّظاهرة طبيعية من فعله سبحانه لا من فعل غيره الذى لا يملك أى تأثير فى مصير الإنسان.

أمّا الآجل فيعتقدون أنّ الشفاعة ومغفرة الذنوب وغيرهما من الأُمور الأُخروية بيده تعالى.

وعلى ضوء ذلك فالعبادة هو الخضوع النابع عن الاعتقاد بخالقيته ومدبريته وكون أزمَّة الأُمور ومصير الإنسان فى الدنيا والآخرة بيده.

هذا حال الموحدين وأمّا المشركون فى عصر الرسالة وقبله وبعده فخضوعهم لمعبوداتهم كان نابعاً عن اعتقاد خاص يضادُّ

(۳۷)

ذلك، فاللازم هو تحصيل ذلك الاعتقاد.

يظهر من بعض الآيات انّ العرب فى العصر الجاهلى كانوا موحدين فى الخالقية، قال تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَالسَّماواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ العَلِيم) (۱) ولكنّهم فى الوقت نفسه كانوا مشركين فى التدبير الذى نعبّر عنه بالربوبية، فكانوا يعتقدون بأرباب، مكان الرب الواحد، ولكلّ رب شأن فى عالم الكون.

ويدل على ذلك طائفة من الآيات نذكر بعضها:

۱. انّ الموحد يرى انّالعزة بيد اللّه سبحانه ومنطقه، قوله سبحانه: (فلِلّه الْعِزَّةُ جَميعاً) .(۲)

ولكن المشرك فى عصر الرسالة كان يرى انّ العزة بيد الأصنام والأوثان كما يحكى عن عقيدته قوله سبحانه: (وَاتَّخَذُوا مِنْدُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً) .(۳)

۲. انّ الموحد يرى انّ النصر بيد اللّه تبارك و تعالى و يردّد على لسانه، قوله سبحانه: (وَمَا النَّصْرُ إِلّامِنْ عِنْدِ اللّهِ الْعَزيزِ الحَكيم).(۴)

ولكن المشرك فى عصر الرسالة كان يعتقد بأنّالنصر بيد

---

۱ ـ الزخرف|۹.

۲ ـ فاطر|۱۰.

۳ ـ مريم|۸۱.

۴ ـ آل عمران|۱۲۶.

(۳۸)

الآلهة والأرباب المزيَّفة، قال سبحانه: (وَاتَّخذوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُون) .(۱)

۳. انّ الموحد يؤمن بأنّ أمر التدبير بيد اللّه ، قال سبحانه: (إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْث) .(۲) كما انّ بيده الجدب والخصب قال سبحانه: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّر الصّابِرينَ) .(۳)

ولكن المشرك كان يستمطر بالانواء بل يستمطر بالأصنام.

يقول ابن هشام فى سيرته: كان عمرو بن لُحَىّ أوّل من أدخل الوثنية إلى مكة وضواحيها، فقد رأى فى مآب من أرض البلقاء من بقاع الشام أُناساً يعبدون الأوثان وعندما سألهم عمّا يفعلون قائلاً: ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدونها؟

قالوا: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتُمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطوننى منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟

وهكذا استحسن طريقتهم واصطحب معه إلى مكة صنماً كبيراً يقال له «هبل» ووضعه على سطح الكعبة المشرّفة ودعا الناس

---

۱ ـ يس|۷۴.

۲ ـ لقمان|۳۴.

۳ ـ البقرة|۱۵۵.

(۳۹)

إلى عبادته.(۱)

۴.ثمّ إنّ الموحد يرى انّ غفران الذنوب والشفاعة بيده سبحانه فليس هناك غافر للذنوب إلاّ اللّه سبحانه ولا شفيع إلاّ بإذنه، يقول سبحانه: (فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوب إلاّ اللّه) (۲)

ى وقوله سبحانه: (قُلْ للّهِ الشَفاعةُ جَميعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالاَرْض) .(۳) ةيوقال سبحانه: (وَلا يَمْلِكُ الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ) .(۴)

وأمّا المشرك فكان يعتقد بأنّ الشفاعة بيد الآلهة والاَرباب المزيفة، والشاهد عليه انّ الآيات الماضية نزلت رداً على عقيدة المشركين حيث كانوا يعتقدون بأنّهم مالكون مقام الشفاعة بتفويض من اللّه سبحانه ولاَجل ذلك يوَكد على نفى تلك العقيدة فى آيات أُخرى، ويقول: (لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمن عَهْداً)(۵) ضى وقال: (وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) (۶) وقال: (وَلا يَملِكُ الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ إلاّ مَنْ شَهِدَ بِالحَقّ).(۷)

---

۱ ـ انظر السيرة النبوية: ۱|۷۶ـ۷۷.

۲ ـ آل عمران|۱۳۵.

۳ ـ الزمر|۴۴.

۴ ـ الزخرف|۸۶.

۵ ـ مريم|۸۷.

۶ ـ سبأ|۲۳.

۷ ـ الزخرف|۸۶.

(۴۰)

كما يرى انّ مغفرة الذنوب بيد الآلهة والشاهد على ذلك (وصفه سبحانه) نفسه بأنّه «غافر الذنب» .(۱)

۵.انّ الموحد يرى مصيره عاجلاً و آجلاً بيده سبحانه: وهذا هو إبراهيم الخليل رائد التوحيد يعلن عقيدته أمام الملاَ من المشركين، يقول سبحانه حاكياً عنه: (الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدين* وَالَّذى هُوَ يُطْعِمُنى وَيَسقين* وَإِذا مَرِضْت فَهُوَ يَشْفين* وَالذى يُميتُنى ثُمَّ يُحيين) (۲).

ولكن المشرك يرى كلّ ذلك أو أكثره بيد آلهته وأربابه، كما يعرب عنه قوله سبحانه: (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْداداً يُحِبُونَهُمْ كَحُبِّ اللّه) (۳) ويقول تعالى حاكياً عن لسان المشركين يوم الحشر عند ندمهم عن عبادة الآلهة، (تاللّهِ إِنْ كُنّا لَفى ضَلالٍ مُبين * إِذْ نُسَويكُمْ بِرَبِّ الْعالَمين) .(۴)

۶. انّ الموحد يرى أمر التشريع والتحليل والتحريم بيده سبحانه، ويقول: (إِنِ الْحُكْمُ إلاّ للّهِ).(۵)

ولكن المشرك يرى انّ التشريع بيد الاَحبار والرهبان، قال

---

۱ ـ راجع غافر|۳.

۲ ـ الشعراء|۷۸ـ ۸۱.

۳ ـ البقره|۱۶۵.

۴ ـ الشعراء|۹۷ـ ۹۸.

۵ ـ یوسف|۴۰.

(۴۱)

سبحانه: (اتَّخَذوا أَحْبارَهُمْ وَرُهبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّه) (۱) فقد کانوا علی اعتقاد انّ الاَحبار والرهبان یملکون مقام التشریع فلهم أن یحلوا الحرام أو یحرموا الحلال بأخذ شیء من حطام الدنیا.

إلی غیر ذلک ممّا یبین عقیدهٔ المشرکین فی العصر الجاهلی ویکشف عن أنّ خضوع المشرکین لم یکن خضوعاً مجرداً نابعاً عن الحب المجرد بل ناجماً عن عقیدهٔ خاصهٔ فی الآلهۀ والاَرباب، والاعتقاد بأنّ أمر التدبیر بعضه أو کلّه بیدهم وانّمصیرهم موکول إلیهم.

نعم لم تکن عقیدتهم فی ربوبیتهم علی درجهٔ واحدهٔ، بل کانت تختلف حسب اختلاف الظروف والشرائط.

فطائفهٔ منهم تعتقد بسعهٔ ربوبیهٔ الاَرباب والآلهۀ کما کان علیه المشرکون فی عصر إبراهیم حیث کانوا یعتقدون بربوبیهٔ النجم والقمر والشمس للموجودات الاَرضیهٔ کما حکاه سبحانه عنهم فی عدّهٔ من الآیات، قال سبحانه: (وَکَذلِکَ نُرِی إِبْراهیمَ مَلَکُوتَ السَّماواتِ وَالاَرْضِ وَلِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنینَ* فَلَمّا جَنَّ عَلَیْهِ اللَّیْلُ رَأی کَوکَباً قالَهذا رَبِّی فَلَمّا أَفَلَ قالَلا أُحِبُّ الآفِلین...) .(۲)

وطائفهٔ أُخری تعتقد بضیق ربوبیهٔ تلک الآلهۀ وتخصها

---

۱ ـ التوبهٔ|۳۱.

۲ ـ الاَنعام|۷۵ـ ۸۰.

(۴۲)

ببعض ما یمتُّ إلی الاِنسان بصلهٔ کاختصاصهم بحقّ الشفاعهٔ والمغفرهٔ والعزّهٔ والنصرهٔ فی الحروب إلی غیر ذلک، و من أراد التفصیل فلیرجع إلی کتب الملل والنحل.(۱)

والذی کان یجمع المشرکین فی معسکر واحد هو اعتقادهم بمالکیهٔ الآلهۀ شیئاً من الربوبیهٔ وإدارهٔ الکون وحیاهٔ الاِنسان.

ونلفت نظر القارئ إلی بعض النماذج ممّا أثر عن المشرکین فی مجال عقیدتهم.

قال زید بن عمرو بن نوفل الذی ترک عبادهٔ الاَصنام قبل أن یبعث النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) حیث یحکی عن عقیدته فی الجاهلیهٔ ویقول:

أرب واحد أم ألف ربّ * أدین إذا تُقسِّمت الاُمور

عزلت اللات والعزی جمیعاً * کذلک یفصل الجلد الصبور

للا عزّی أدین ولا ابنتیها * ولا صنم بنی عمرو أزور

ویقول أیضاً:

إلی الملک الاَعلی الّذی لیس فوقه * إله ولا ربّ یکون مداینا(۲_____)

۱ ـ الشهرستانی: الملل والنحل:۲|۲۴۴.

۲ ـ الآلوسی: بلوغ الارب: ۲|۲۴۹.

(۴۳)

هذه الاَشعار وسائر الکلمات المرویهٔ قبل مبعث النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) تثبت أمراً واحداً، و هو انّ آلهتهم کان ت تتمتع حسب عقیدتهم بقوهٔ غیبیهٔ مالکهٔ لها موَثرهٔ فی الکون ومصیر الاِنسان، وانّ هوَلاء آلهۀ وأرباب واللّه سبحانه إله الآلهۀ وربّالاَرباب.

ويمكن أن نتطرق إلى المواقف التى اتّخذوها أمام أصنامهم وأوثانهم من خلال استعراض الآيات التى تندد بالمشركين وتشجب عملهم.

١. (انَّ الَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ). (١)

٢. (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاتَحويلاً) .(٢)

٣. (وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ) .(٣)

۴. (إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ) .(۴)

۵. (أَمَّنْ هذَا الَّذِى هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمن إِنِ الْكافِرُونَ إِلاّ فى غُرُور) .(۵)

---

١ ـ الاَعراف|١٩۴.

٢ ـ الإسراء|۵۶.

٣ ـ يونس|١٠۶.

۴ ـ فاطر|١۴.

۵ ـ الملك|٢٠.

۶.(إِمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا ـ يَسْتَطيعونَنَصرَ أَنْفُسهِمْ وَلا ـ هُمْ مِنْها يُصْحَبُونَ) .(١) إلى غير ذلك من الآيات المندّدة بعمل المشركين حيث تجد انّه سبحانه يرشدهم إلى الحقيقة الناصعة ويبطل عقيدتهم المزيفة بالحجج التالية:

أ. انّهم (عباد أَمْثالُكُمْ) فلا ربوبية لهم كلاً أو بعضاً.

ب. (فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرّ) فلا ربوبية لهم حتى يكشفوا الضرّ عنكم.

ج. لا ينْفَعُونَ وَلا يضُرُّونَ، وَلا يسْمَعُون فكيف تعبدونهم؟

كلّ ذلك يكشف عن انّ المخاطبين كانوا على اعتقاد راسخ بأنّ للآلهة قدرة غيبية فوق الإنسان وانّ زمام كشف الضرّ بأيديهم فينفعون ويضرّون.

إلى هنا تبين انّ حقيقة العبادة قائمة بأمرين:

الاَوّل: يرجع إلى جوارح الإنسان المشعرة بالتعظيم والخضوع.

الثانى: يرجع إلى عقيدة الخاضع فى حقّ المخضوع له بنحو من الاَنحاء من كونه خالقاً أو رباً أو من بيده مصير الإنسان كلاً أوجزءاً فلا تتحقق مفهوم العبادة إلاّ بتحققهما.

نعم يبقى هنا سوَال وهو انّ العرب فى العصر الجاهلى لو

---

١ ـ الاَنبياء|۴٣.

كانوا معتقدين بربوبيّة الآلهة، فلماذا يحكى عنهم ا لقرآن بأنّ عبادتهم كانت لاَجل التقرب بعبادتهم إلى اللّه فقط لا غير، قال سبحانه: (أَلا للّهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّلِيُقَرِّبُونا إِلَى اللّهِ زُلْفى إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فى ما هُمْ فيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ) .(١)

حيث يحكى عنهم سبحانه قولهم: (ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى اللّه زلفى) أى يقولون: نحن لا نعدُّهم موَثرين فى حياتنا ومصيرنا وإنّما

نعبدهم لنتقرب بعبادتهم إلى اللّه.

والجواب: انّه لا ـ شكّ حسب ما مرّ من الآيات انّهم كانوا يتّخذونهم آلهة وأرباباً وكانوا يستمطرون ويعتَّزون بهم إلى غير ذلك من صفات الآلهة، ومع ذلك كيف يمكن ان تُحصر عبادتهم فى طلب التقرب إلى اللّه، وهذا يدلنا إلى القول بأنّهم كانوا يقولون فى ألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ولذلك نرى انّه سبحانه يقول فى ذيل الآية (إِنَّ اللّهَ لا يَهْدى مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّار) مشيراً إلى أنّهم كاذبين فى ذلك المدّعى وإنّما يعبدونهم لغايات دنيوية، وهو اكتساب العزة والنصرة والخصب والنعمة والشفاء والشفاعة.

وحيث إنّه طال الكلام فى هذا الفصل الّذى تناولنا فيه بيان مقوّمات العبادة نحيل تعريفها إلى الفصل اللاحق_____.

۱ ـ الزمر|۳.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

تعريف العبادة إذا وقفت على مقوّمات العبادة، فيكون من السهل تعريف العبادة تعريفاً منطقياً جامعاً للاَفراد ومانعاً للاَغيار بأحد التعاريف التالية: التعريف الاَوّل

العبادة هى الخضوع عن اعتقاد بأُلوهية المعبود، فمالم يكن القول والعمل ناشئين من الاعتقاد بالاُلوهية، لا يكون الخضوع والتعظيم والتكريم عبادة.

والذى يجب أن نلفت نظر القارئ إليه، هو انّ المراد من الاُلوهية ليست المعبودية كما هو الرائج فى الاَلسن، بل المراد منها الاعتقاد بكونه إله العالم وخالقه ومدبره وانّ أزمة الاُمور كلّها أو بعضها بيده، فهذا هو المراد من الاِله، والاُلوهية، فلفظ الاِله كلى و(اللّه) لفظ الجلالة علم، فليس بينهما فرق إلاّ بالكلية والجزئية.

(۴۸)

والذى يدل على ذلك(الخضوع النابع عن الاعتقاد بالاُلوهيّة) انّ بعض الآيات تأمر بعبادة اللّه وتنهى عن عبادة غيره مدللاً بأنّه لا إله غيره، يقول: (يا قَومِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ إِلهٍ غَيْرُهُ) .(۱)

ومعنى ذلك أنّ الذى يستحق العبادة من كان إلهاً وليس هو إلاّ اللّه، عندئذٍ كيف تعبدون ما ليس بإله حقيقة و إنّما تدّعون له الاُلوهية؟ وكيف تنبذون عبادة اللّه وهو الاِله الذى يجب أن يعبد دون سواه؟ وقد وردت هذه الآية بنصها أو مضمونها فى كثير من الآيات.(۲)

فهذه التعابير تفيد انّ العبادة هى ذلك الخضوع والتذلّل النابعين من الاعتقاد بأُلوهية المعبود، إذ نلاحظ ـ بجلاء ـ كيف استنكر القرآن على المشركين عبادة غير اللّه بأنّ هذه المعبودات ليست آلهة وانّ العبادة من شوَون الاُلوهية .وحيث إنّ هذا الوصف لا يوجد إلاّ فى اللّه سبحانه لذلك تجب عبادته دون سواه. التعريف الثانى

العبادة هى الخضوع أمام من يعتقد انّه ربّ يملك شأناً من شوَون وجوده وحياته وشوَونه فى آجله وعاجله.

سواء كان أمراً مادّياً كالعزّة و النصر، أم معنويّاً كمغفرة الذنوب_____.

۱ ـ الاَعراف|۵۹.

۲ ـ وللقارئ الكريم أن يراجع فى ذلك الآيات التالية: الاَعراف|۶۵، ۷۳، ۸۵؛ هود|۵۰، ۶۱، ۸۴؛ الاَنبياء|۲۵؛ المؤمنون|۲۳، ۳۲؛ طه|۱۴.

(۴۹)

والمقصود من الربّ، هو المالك لشوَون الشيء، المتكفّل لتدبيره وتربيته، ولذلك تكون العبودية فى مقابل الربوبية.

ويدل على ذلك طائفة من الآيات التى تعلل الاَمر بحصر العبادة فى اللّه وحده بأنّه الربّ لا غير، وإليك بعض هذه الآيات:

(وَقالَ الْمَسيحُ يا بَنى إِسْرائيلَ اعْبُدُوا اللّهَ رَبّى وَرَبَّكُمْ) .(۱)

(إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونَ) .(۲)

(إِنَّ اللّهَ رَبّى وَرَبّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيم) .(۳)

وقد ورد مضمون هذه الآيات فى آيات أُخرى هى:يونس: ۳؛ الحجر :۹۹؛ مريم ۳۶، ۶۵؛ الزخرف:۶۴.

وعلى كلّحال فانّ أوضح دليل على هذا التفسير للفظ العبادة هو الآيات التى سبق ذكرها. التعريف الثالث

العبادة هى الخضوع أمام من نعتقد انّه إله العالم، أو من فوض إليه أعماله كالخلق والرزق والاِحياء والاِماتة التى تعد من الاَفعال الكونية أو التقنين والتشريع وحقّ الشفاعة والمغفرة التى تعد من

---

۱ ـ المائدة| ۷۲.

۲ ـ الاَنبياء| ۹۲.

۳ ـ آل عمران| ۵۱.

الاَفعال التشريعية.

إنّ الموحد يعبد اللّه سبحانه بما انّه قائم بهذه الاَفعال، من دون أن يفوّض شيئاً منها إلى مخلوقاته، ولكنّ المشركين مع اعتقادهم بأنّآلهتهم وأربابهم مخلوقون للّه تبارك و تعالى، لكن كانوا على اعتقاد انّه فُوض إلى الآلهة أُمور التكوين والتشريع كلّها أو بعضها، فلذلك كانوا يستمطرون بالاَنواء والاَصنام ويطلبون الشفاعة منهم بتصور انّهم مالكون لحقّ الشفاعة، ويطلبون منهم النصرة والعزة فى الحرب بزعم انّ الاَمر بيدهم وانّه فوض إليهم.

وعلى ضوء هذه التعاريف الثلاثة يظهر الفرق الجوهرى بين التوحيد فى العبادة والشرك فيها، فكلّ خضوع نابع عن اعتقاد خاص بإلهية المخضوع له وربوبيته أو تفويض الاَمر إليه فهو عبادة للمخضوع له سواء كان ذلك الاعتقاد الخاص فى حقّ المعبود حقاً ـ كما فى اللّه سبحانه ـ أو باطلاً كما فى حقّ الاَصنام. وعلى كلّ تقدير فالخضوع الناجم عن هذا النوع من الاعتقاد، عبادة للمخضوع له.

وأمّا لو كان الخضوع مجرداً عن هذه العقيدة فهو تعظيم وتكريم، وليس بعبادة، ولا يكون الخاضع مشركاً، ولا عمله موصوفاً بالشرك، غاية الاَمر ربما يكون حلالاً كما فى الخضوع أمام الاَنبياء والاَولياء ومن وجب له حقّ بالتعليم والتربية، وربما يكون حراماً كالسجود أمام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والولى «عليه السلام» وغيرهما لا لاَنّه عبادة للمسجود له، بل لانّه لا يجوز السجود لغيره سبحانه وانّ السجود خضوع لا يليق بغيره.

وبمثل هذا البيان تتميز العبادة عن التعظيم، فتقبيل المصحف وضرائح الاَنبياء وما يمتّ إليهم بصلة إذا كان فارغاً عن اعتقاد الاُلوهية والربوبية والتفويض فهو ليس عبادة للمخضوع له.

إذا عرفت تلك الضوابط فلنتناول بالبحث الموضوعات الخاصة التى ربما يتصور انّها شرك وعبادة لغير اللّه أو انّها بدعة دخلت فى الدين أو حرام كسائر المحرمات، ويأتى كلّ ذلك فى ضمن الفصل الآتى.

الفصل الخامس تطبيقات على ضوء تعريف العبادة

تطبيقات على ضوء تعريف العبادة

تطبيقات على ضوء تعريف العبادة

ينطوى هـذا الفصـل على مسائـل صـارت ذريعـة للاختلاـف والتشـتت، وهى لا تمس العقيـدة بصـلة، وإنّما هى مسائل فقهيـة تسـتنبط أحكامها من الكتاب والسنّة وهذه المسائل هى كالتالى:

۱. زيارة القبور.

۲. شدّالرحال إلى زيارة قبر النبى ص.

۳. البناء على القبور.

۴. بناء المساجد على القبور والصلاة فيها.

۵. التوسّل بالأنبياء والأولياء والصالحين وأقسامه.

۶. انتفاع الموتى بأعمال الأحياء والنذر لهم.

۷. التبرّك بآثار الأنبياء والصالحين.

۸. الاحتفال بميلاد النبى ص.

۹. البكاء على الميت.

۱۰. الحلف على اللّه بحقّ الأولياء.

۱۱. الحلف بغير اللّه سبحانه.

۱۲. تسمية المواليد باضافة العبد إلى غير اللّه سبحانه.

وإليك البحث فيها واحدة تلو الأُخرى:

(۵۴) (۵۵)

۱- زيارة القبور (۱)

۱- زيارة القبور (۱)

إنّ زيارة القبور تنطوى على آثار أخلاقيـة وتربوية هامة، لأنّ مشاهدة المقابر التى تضمُّ فى طياتها مجموعة كبيرة من رفاة الذين عاشوا فى هـذه الحيـاة، ثمّ انتقلوا إلى الآـخرة، تؤدى إلى الحـد من الطمع والحرص على الـدنيا، وربمـا يُغيِّر سـلوك الإنسـان فيترك الظلم و المنكر ويتوجه إلى اللّه والآخرة.

لذا يقول الرسول الأعظم ص: «زوروا القبور فانّها تذكّركم بالآخرة».(۲)

نعم يستفاد من بعض الأحـاديث انّـالنبى «صـلى الله عليه وآله وسـلم» نهى يوماً عن زيارة القبور ثمّ رخّصـها، ولعلّ النهى كان لملاك آخر، وهو أنّ أكثر الأموات ـ يومذاك ـ كانوا من المشركين،

---

۱ ـ انّ زيارة القبور من المسائل الفرعية الفقهية، ولا تمتُّ إلى العقيدة الإسلامية بصلة، ولا يتّهم القائل بجوازها بالشرك، وهذه المسألة شأن سائر المسائل يرجع فيها إلى الكتاب والسنة حتى يعلم جوازها أو عدم جوازها.

۲ ـ شفاء السقام: ۱۰۷.

فنهى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عن زيارتهم، ولمّا كثر المؤمنون بينهم رخّصها بإذن اللّه عزّ وجلّ، وقال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تزهد فى الدنيا وتذكر فى الآخرة».(۱)

وقالت عائشة: انّ رسول اللّه رخّص فى زيارة القبور، وقالت: إنّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أمرنى ربّى أن آتى البقيع وأستغفر لهم. قلتُ: كيف أقول يا رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» ؟

قال: قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات يرحم اللّه المستقدمين منّا والمستأخرين، انّا إن شاء اللّه بكم لاحقون.(۲)

وجاء فى الصحاح والمسانيد صور الزيارات التى زار بها النبيص البقيع.

قال مؤلف كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة»: زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكّر الآخرة وتتأكد يوم الجمعة، وينبغى للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرّع، والاعتبار بالموتى، وقراءة القرآن للميت فانّ ذلك ينفع الميت على الأصح، وبما ورد أن يقول الزائر عند رؤية القبور: «السّلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء اللّه بكم لاحقون» ولا فرق فى الزيارة بين كون المقابر قريبة أو بعيدة(۳) بل يندب السفر لزيارة الموتى خصوصاً مقابر الصالحين_____.

۱ ـ سنن ابن ماجة: ۱|۱۱۷، باب ما جاء فى زيارة القبور.

۲ ـ لاحظ صحيح مسلم:۲|۶۴، باب ما يقال عند دخول القبور.

۳ ـ إلّا الحنابلة فقالوا إذا كانت القبور بعيدة فزيارتها مباحة لا مندوبة.

(۵۷)

هذه كلمات فقهاء المذاهب الأربعة حول زيارة القبور.(۱) زيارة قبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

هذا كلّه حول زيارة قبور المسلمين، وأمّا زيارة قبر النبيوأئمّة الإسلام والشهداء والصالحين فلا شكّ انّ لزيارتهم نتائج بنّاءة نشير إليها، كما نشير إلى الأحاديث الواردة حول زيارة قبورهم ليكون البحث مرفقاً بالتحليل وجامعاً للدليل.

أمّا التحليل: انّ زيارة مراقد هذه الشخصيات هو نوع من الشكر والتقدير على تضحياتهم وإعلام للجيل الحاضر بأنّ هذا هو جزاء الذين يسلكون طريق الحقّ والهدى، والفضيلة والدفاع عن المبدأ والعقيدة، وهذا لا يدفعنا إلى زيارة قبورهم فحسب، بل إلى إبقاء ذكرياتهم حية ساخنة، والمحافظة على آثارهم وإقامة المهرجانات ، فى ذكرى مواليدهم،وعقد المجالس وإلقاء الخطب المفيدة فى أيّام التحاقهم بالرفيق الأعلى، وهذا شىء يدركه كلّذى مسكة.

ولأجل ذلك ترى انّالأمم الحية يتسابقون فى زيارة مدفن رؤسائهم وشخصياتهم الذين ضحُّوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل نجاة الشعب، وإنقاذه من مخالب المستعمرين والظالمين، ويقيمون المجالس لاحياء معالمهم، دون أن يخطر ببال أحد انّهذه الأمور

---

۱ ـ الفقه على المذاهب الأربعة:۱|۵۴۰.

(۵۸)

عبادة لهم، فأين التعظيم للشخصيات من عبادتهم؛ فانّالتعظيم تقدير لجهودهم، والعبادة تأليههم واتخاذهم أرباباً. أفهل هناك من يخلط بين الأمرين منّا أو من غيرنا؟! كلّا ،لا، شريطة الإمعان فى مقوّمات العبادة وتعريفها الماضيتين فى الفصلين السابقين.

إذا وقفت على الآثار البنّاءة لزيارة مطلق القبور وزيارة قبور الأولياء والصالحين، نذكر خصوص ما ورد من الروايات التى جاء فيها الحث على زيارة قبر النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

أخرج أئمّة المذاهب الأربعة وحفاظها فى الصحاح والمسانيد أحاديث جمّة فى زيارة قبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) نذكر شطراً منها:

۱. عن عبد اللّه بن عمر مرفوعاً: من زار قبرى وجبت له شفاعتى.

۲. عن عبد اللّه بن عمر مرفوعاً: من جاءنی زائراً لا تحمله إلّا زیارتی کان حقاً علیّ أن أکون له شفیعاً یوم القیامة.

۳. عن عبد اللّه بن عمر مرفوعاً: من حجّ فزار قبری بعد وفاتی کمن زارنی فی حیاتی.

۴. عن عبد اللّه بن عمر مرفوعاً: من حجّ البیت ولم یزرنی فقد جفانی.

۵. عن عمر مرفوعاً: من زار قبری أو من زارنی کنت له شفیعاً أو شهیداً.

(۵۹)

۶. عن حاتم بن أبی بلتعه مرفوعاً: من زارنی بعد موتی فکأنّما زارنی فی حیاتی.

۷. عن أبی هریرة مرفوعاً: من زارنی بعد موتی فکأنّما زارنی وأنا حیّ، ومن زارنی کنت له شهیداً أو شفیعاً یوم القیامة.

۸. عن أنس بن مالک مرفوعاً: من زارنی فی المدینة محتسباً کنت له شفیعاً.

۹. عن أنس بن مالک: من زارنی میتاً فکأنّما زارنی حیّاً، ومن زار قبری وجبت له شفاعتی یوم القیامة، وما من أحد من أُمّتی له سعة ثمّ لم یزرنی فلیس له عذر.

۱۰. عن ابن عباس مرفوعاً: من زارنی فی مماتی کمن زارنی فی حیاتی، ومن زارنی حتی ینتهی إلی قبری کنت له یوم القیامة شهیداً، أو قال شفیقاً.

فهذه أحادیث عشرة أخرجها الحفاظ من المحدّثین، وقد جمع أسانیدها وطرقها وصححها تقی الدین السبکی (المتوفّی سنة ۷۵۶هـ) فی کتاب شفاء السقام فی زیارةخیر الأنام فمن أراد التفصیل فلیرجع إلیه.(۱_____)

۱ ـ شفاء السقام فی زیارة خیر الأنام، الباب الأوّل فی الأحادیث الواردة فی زیارته؛ ولاحظ أیضاً وفاء الوفاء بأحوال دار المصطفی:۴|۱۳۳۶.

(۶۰)

ونظم الشیخ شعیب الحریفیش فی «الروض الفائق» هذا المعنی فی قصیدة مطلعها:

من زار قبر محمد * نال الشفاعة فی غد

باللّه کرِّر ذکره * وحدیثه یا منشدی

واجعل صلاتک دائما * جهراً علیه تهتدی

فهو الرَّسول المصطفی * ذو الجود والکفّ الندیّ

وهو المشفَّع فی الوری * من هول یوم الموعد

والحوض مخصوص به * فی الحشر عذب المورد

صلی علیه ربّنا * مالاح نجم الفرقد(۱_____)

۱ ـ الروض الفائق: ۲|۲۳۸.

(۶۱)

۲- شدّ الرحال إلی زیارة قبر النبی (صلی اللّه علیه

۲- شدّ الرحال إلی زیارة قبر النبی (صلی اللّه علیه وآله وسلم) کان الکلام فی استحباب زیارة النبی «صلی اللّه علیه وآله وسلم» للحاضر فی المدینة، وأمّا استحباب السفر للغائب عنها فیدل علیه أُمور:

الأوّل: ما ورد فی الأحادیث من الحث علی زیارة النبی ص ، فانّها بین صریح فی الغائب أو مطلق یعمُّ المقیم والمسافر والحاضر والغائب.

فمن القسم الاَوّل ما رواه عبد اللّه بن عمر، عن النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» انّه قال:

من جاءنى زائراً لا تحمله إلّازيارتى كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.

فهذا صريح فى الغائب وغيره.

الثانى: سيرة النبيص فانّه كان يشدّ الرحال إلى زيارة قبور شهداء أُحد.

أخرج أبو داود عن ربيعة ـ يعنى ابن الهُدير ـ عن طلحة بن عبيد اللّه، قال: خرجنا مع رسول اللّهص يريد قبور الشهداء حتى

(۶۲)

إذاأشرفنا على حرّة واقم (۱) فلما تدلّينا منها وإذاً بقبور بمحنية(۲) قال: قلنا يا رسول اللّه: أقبور اخواننا هذه.

قال: قبور أصحابنا، فلما جئنا قبور الشهداء، قال: هذه قبور إخواننا.(۳)

الثالث: إطباق السلف والخلف على شدّالرحال إلى زيارة النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) ،لاَنّ الناس لم يزالوا فى كلّعام إذا قضوا الحج يتوجهون إلى زيارته و منهم من يفعل ذلك قبل الحج.

قال السبكى : هكذا شاهدناه وشاهده من قبلنا وحكاه العلماء عن الاَعصار القديمة... وكلّهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه وإن لم يكن طريقهم، ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الاَموال، ويبذلون فيه المهج، معتقدين انّ ذلك قربة وطاعة، واطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الاَرض ومغاربها على مرّ السنين وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم يستحيل أن يكون خطأ وكلّهم يفعلون ذلك على وجه التقرب به إلى اللّه عزّ وجلّ ، ومن تأخّر عنه من المسلمين فإنّما يتأخر بعجز أو تعويق المقادير مع تأسفه عليه وودّه لو تيسّر له، و من ادّعى أنّ هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ فهو المخطئ_____.

۱ ـ الحرّة: الاَرض ذات الحجارة، واقم: اُطم من اطام المدينة وإليه تنسب الحرّة.

۲ ـ المحنية: انعطاف الوادى.

۳ ـ سنن أبى داود: ۲|۲۱۸ برقم ۲۰۴۳، آخر كتاب الحج.

(۶۳)

وما ربما يقال من أنّ سفرهم إلى المدينة لاَجل قصد عبادة اُخرى وهو الصلاة فى المسجد، باطل جداً، فانّ المنازعة فيما يقصده الناس مكابرة فى أمر البديهة، فمن عرف الناس، عرف انّهم يقصدون بسفرهم الزيارة من حين يعرجون إلى طريق المدينة، ولا يخطر غير الزيارة من القربات إلّا ببال قليل منهم، ولهذا قل القاصدون إلى البيت المقدس مع تيسر إتيانه، وإن كان فى الصلاة فيه من الفضل ما قد عرف، فالمقصود الاَعظم فى المدينة، الزيارة كما أنّ المقصود الاَعظم فى مكة، الحج أو العمرة وهو المقصود، وصاحب هذا السوَال إن شكّ فى نفسه فليسأل كلّ من توجه إلى المدينة ما قصد بذلك؟(۱)

الرابع: انّه إذا كانت الزيارة قربة وأمراً مستحباً على الوجه العام أو الخاص، فالسفر وسيلة القربة، والوسائل معتبرة بالمقاصد فيجوز قطعاً.

الخامس: ما نقله المورّخون عن بعض الصحابة والتابعين فى هذا المجال.

۱.قال ابن عساكر : إنّبلالاً رأى فى منامه النبى«صلى الله عليه وآله وسلم» وهو يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورنى يا بلال؟ فانتبه حزيناً، وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد

---

۱ ـ شفاء السقام فى زيارة خير الاَنام لتقى الدين السبكى:۸۵ـ ۸۶، ط بولاق مصر، وانظر الطبعة الرابعة:۲۱۱ ـ۲۱۲ بتلخيص.

(۶۴)

المدينة فأتى قبر النبى ص، فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه، وأقبل الحسن والحسين ـ رضى اللّه عنهما ـ فجعل يضمّهما ويقبلهما فقالا ـ له يا بلال: نشتهى نسمع أذانك الذى كنت توَذن به لرسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فى السحر ففعل، فعلا سطح

المسجد، فوقف موقفه الذى كان يقف فيه، فلمّا أن قال: «اللّه اكبر ـ اللّه اكبر » ارتجّت المدينة، فلما أن قال: «أشهد أن لا إله إلّااللّه» ازدادت رجّتها، فلما أن قال: «أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه»خرجت العواتق من خدورهن فقالوا : أبعث رسول اللّهص؟! فما رُئى يوم أكثر باكياً ولا باكية بعد رسول اللّه من ذلك اليوم .(۱)

۲. انّ عمر بن عبد العزيز كان يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئَ النبى السلام ثمّ يرجع.(۲)

قال السبكى: فسفر بلال فى زمن صدر الصحابة، ورسول عمر بن عبد العزيز فى زمن صدر التابعين من الشام إلى المدينة، لم يكن إلّا للزيارة والسلام على النبى ولم يكن الباعث على السفر غير ذلك لا من أمر الدنيا ولا من أمر الدين، لا من قصد المسجد ولا من غيره.(۳)

۳. إنّ عمر لما صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأَحبار وأسلم وفرح عمر بإسلامه، قال عمر له: هل لك أن تسير

---

۱ ـ تاريخ ابن عساكر:۷|۱۳۷ فى ترجمة إبراهيم بن محمد، برقم ۴۹۳.

۲ ـ شفاء السقام،ص ۱۴۲. أخرجه البيهقى فى شعب الإِيمان كما نقله فى الصارم المنكى:۲۴۶، لاحظ تعليقة شفاء السقام.

۳ ـ شفاء السقام:۱۴۳، ط الرابعة.

(۶۵)

معى إلى المدينة وتزور قبر النبى وتتمتع بزيارته؟ فقال لعمر: أنا أفعل ذلك، ولما قدم عمر المدينة أوّل ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول اللّه.(۱)

۴. ذكر ابن عساكر فى تاريخه، وابن الجوزى فى «مثير الغرام الساكن»، بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالى قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وزرته وسلمت بحذائه، فجاءه أعرابى فزاره، ثمّ قال: يا خير الرسل انّ اللّه أنزل عليك كتاباً صادقاً، قال فيه: (وَلَو أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاستَغْفِرُوا اللّهَ وَاستَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّه تَوّاباً رَحيماً) .(۲)

وإنّى جئتك مستغفراً ربّك ذنوبى، مستشفعاً بك إلى اللّه ثمّ بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وقد ذيله أبو الطيب أحمد بن عبد العزيز بأبيات وقال:

وفيه شمس التقى والدين قد غربت * من بعد ما أشرقت من نورها الظلم

حاشا لوجهك أن يبلى وقد هديت * فى الشرق والغرب من أنواره الأُمم (۳_____)

۱ ـ فتوح الشام، ج۱،(صلى الله عليه وآله وسلم) ۱۴۸، باب فتح القدس.

۲ ـ النساء|۶۴.

۳ ـ شفاء السقام:۱۵۱ـ ۱۵۲.

(۶۶) سؤال و اجابة

وثمة سؤال وهو انّه إذا كان شدّ الرحال إلى زيارة القبور وبالأَخص زيارة قبر النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) جائزاً، فما معنى هذا الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه، وهو لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأَقصى؟

والجواب أوّلاً: انّ هذا الحديث وإن أخرجه مسلم، لكنّه معارض بفعل النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث إنّه كان يشد الرحال إلى مساجد غير هذه الثلاثة.

فقدأخرج الشيخان فى صحيحهما انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأتى مسجد قبا راكباً وماشياً فيصلى فيه.(۱)

فكيف يجتمع هذا الحديث مع حديث النهى الذى لسانه آب عن التخصيص، وهذا يدل على أنّ الحديث الاَوّل إمّا غير صحيح وعلى فرض صحته نقل محرّفاً.

والدليل على التحريف انّه نقل بوجه آخر أيضاً، وهو إنّما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدى، ومسجد إيلياء.

وأيضاً بصورة ثالثة تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد.(۲)

---

۱ ـ صحيح مسلم:۴|۱۲۷، صحيح البخارى:۲|۱۷۶.

۲ ـ أورد مسلم هذه الاَحاديث فى صحيحه:۴|۱۲۶، باب لا تشدّ الرحال من كتاب الحج وكذلك النسائى فى سننه المطبوع مع شرح السيوطى:۲|۳۷ـ ۳۸ ، وقد ذكر السبكى صوراً أُخرى للحديث هى أضعف دلالة على مقصود المستدللاحظ شفاء السقام:۹۸.

فعلى هذين الصورتين ليس هناك نهى عن شدّ الرحال إلى غير الثلاثة خصوصاً الصورة الثالثة، وأقصى ما فيها الدعوة إلى السفر إلى هذه الثلاثة.

وثانياً: نفترض انّ الصحيح هو الصورة الاُولى لكن المستثنى منه بقرينة المستثنى محذوف وهو لفظ المسجد، فيكون معناه لا تشدّ الرحال إلى مسجد من المساجد إلاّ إلى هذه المساجد الثلاثة، فلو دلّ فإنّما يدل على النهى على شدّ الرحال إلى مسجد سوى المساجد الثلاثة، وأمّا السفر إلى الاَماكن الاُخرى فالحديث ساكت عنه غير متعرض لشىء من أحكامه، فانّ النفى و الاِثبات يتوجهان إلى السفر إلى المسجد لا إلى الاَمكنة الاُخرى، كزيارة النبى ومشاهد الشهداء ومراقد الاَولياء.

وثالثاً: انّ الحديث لا يدل ـ حتى ـ على حرمة السفر إلى مسجد غير هذه الثلاثة، وإنّما هو إرشاد إلى عدم الجدوى فى السفر إلى غيرها، وذلك كما قاله الاِمام الغزالى: لاَنّ سائر المساجد متماثلة فى الفضيلة بعد هذه المساجد فلا وجه لشدّ الرحال إلى غيرها وإنّما يشد الرحال إذا كان هناك تفاوت فى الفضيلة.(۱)

وأمّا شدّ الرحال إلى زيارة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)أو الشهداء فيعلم ذلك ممّا قد أوردناه من الاَحاديث، فإذا خرج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة لزيارة قبورة الشهداء فأئمّة أهل البيت أئمّة الشهداء

---

۱ ـ احياء علوم الدين للاِمام الغزالى: ۲|۲۴۷.

تجوز زيارتهم بطريق أولى، انّ الاِمام أمير المؤمنين من أفضل الشهداء، والحسين بن على أبو الشهداء .فسلام اللّه عليهم يوم ولدوا ويوم استشهدوا ويوم يبعثون أحياء.

وعلى كلّ حال فشدّ الرحال، مسألة فقهية لا صلة لها بالمسائل العقائدية ولا بالشرك ولكلّ مجتهد دليله.

۳- البناء على القبور

۳- البناء على القبور

المراد من القبور فى العنوان هو قبور الاَنبياء والشهداء والاَئمّة الاَولياء الذين لهم مكانة عالية فى قلوب المؤمنين، فهل هو أمر جائز أو لا ؟

وهـذه المسألة كالمسألتين السابقتين لا تمت إلى العقيدة الإِسـلامية بصـلة حتى تكون ملاكاً للتوحيد والشـرك، وإنّما هى من المسائل الفقهية التى يدور أمرها بين الإِباحة والكراهة والاستحباب وغيرها.

ولا يصـحّ لمسـلم واع أن يتخـذ تلك المسألـة ذريعـة للشـرك والتكفير، فكم من مسائل فقهية اختلفت فيها كلمة الفقهاء، ومن حسـن الحظ لم يختلف فى هـذه المسألة فقهاء الائمة الأَربعة ولا فقهاء المذهب الإِمامى ودليلهم على جواز البناء على قبور تلك الشخصـيات عبارة عن سيرة المسلمين منذ رحيل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يومنا هذا.

أ. وارى المسلمون جسد النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) فى بيته المسقف وحرصوا على بذل المزيد من العناية بحجرته الشريفة

(۷۰)

بشتى الأَساليب، وقد جاء ذكرها فى الكتب التى ألفت فى تاريخ المدينة لا سيما كتاب وفاء الوفاء للعلاّمة السمهودىّ.(۱)

وشـيّد البناء الموجود عام ۱۲۷۰هـ وهو بحمـد اللّه قـائم لم يمسه السوء، وسوف يبقى بفضـل اللّه تبـارك وتعـالى محفوظـاً مصوناً عن الاندثار، فلو كان البناء على القبور أمراً حراماً لدفنه المسلمون فى مكان واسع لا سقف فيه.

ب. انّ البناء على القبور كانت سـيرة سائدة بين المسـلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، وهذه هى كتب الرَحَلات تذكر لنا وصف القبور الموجودة فى المدينة التى كانت عليها قباب وعلى قبورهم صخرة فيها اسماوَهم ونحن نذكر من ذلك نزراً يسيراً:

۱. يقول المسعودى(المتوفّى۴۴۵هـ) حول المشاهـد والقباب فى البقيع: وعلى قبورهم فى هـذا الموضع من البقيع، رخامة مكتوب عليها بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمـد للّه مبيـد الأُمم ومحيى الرمم وهـذا قبر فاطمـة بنت رسول اللّه(صـلى الله عليه وآله وسـلم) سـيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن على بن أبى طالب، وعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب، و محمد بن على، و جعفر بن محمد.(۲)

۲.وذكر السبط ابن الجوزى(المتوفّى عام ۶۵۴هـ) فى تذكرة

---

۱ ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى:۲|۴۵۸، الفصل التاسع.

۲ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر:۲|۲۸۸.

(۷۱)

الخواص ص ۳۱۱ نظير ذلك.

۳. كمـا وصف محمـد بن أبى بكر التلمسـانى المدينـة الطيبـة وبقيع الغرقـد فى القرن الرابع بقوله: وقبر الحسن بن على عن يمينك إذا خرجت من الدرب ترتفع إليه قليلاً عليه مكتوب هذا قبر الحسن بن على دفن إلى جنب أُمّه فاطمة (عليها السلام).(۱)

۴. يقول الحافظ محمد بن محمود بن النجار (المتوفّى عام ۶۴۳هـ)فى «اخبار مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) »: فى قبة كبيرة عالية قديمة البناء فى أوّل البقيع، وعليها بابان يفتح أحدهما فى كلّ يوم للزيارة «رضى اللّه عنهم».(۲)

۵. ويقول ابن جبير الرحالة الطائر الصيت(المتوفّى عام ۶۱۴هـ) فى رحلته فى وصف بقيع الغرقد: يقع فى مقابل قبر مالك قبر، السـلالة الطاهرة إبراهيم بن النبى عليها قبة بيضاء، وعلى اليمين منها تربة ابن عمر ابن الخطاب، وبازائه قبر عقيل بن أبى طالب (رض) وعبد اللّه بن جعفر الطيار (رض)، وبازائهم روضـة فيها أزواج النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ، وبها روضـة صـغيرة فيها ثلاثـة من أولاد النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ، و روضـة العباس بن عبدالمطلب والحسن بن على (رض) وهى قبة مرتفعة فى الهواء على مقربة من باب البقيع المذكور، وعن يمين الخارج منه، ورأس الحسن إلى رجلى العباس

---

۱ ـ مجلة العرب، رقم ۵ـ۶، المورّخة ۱۳۹۳هـ

۲ ـ اخبار مدينة الرسول اهتم بنشره صالح محمد جمال بمكة المكرمة عام ۱۳۶۶.

(۷۲)

وقبراهما مرتفعان عن الاَرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة، أبدع الصاق، مرصّعة بصفائح الصفر، ومكوكبة بمسامير على أبدع صفة، وأجمل منظر، وعلى هذا الشكل قبر إبراهيم بن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ،ويلى هذه القبة العباسية بيت ينسب لفاطمة بنت الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ويعرف ببيت الحزن... وفى آخر البقيع قبر عثمان الشهيد المظلوم ذى النورين وعليه قبة صغيرة مختصرة، وعلى مقربة منه مشهد فاطمة ابنة أسد اُمّ علىّ رضى اللّه عنها وعن بنيها.(۱)

۶. وروى البلاذرى انّه لما ماتت زينب بنت جحش سنة عشرين صلّى عليها عمر، وكان دفنها فى يوم صائف، ضرب عمر على قبرها فسطاطا.(۲)

ولم يكن الهدف من ضربه ذلك الفسطاط تسهيل الاَمر لمن يتعاطى دفنها، بل لاَجل تسهيله لاَهلها حتى يتفيوَا بظله، ويقرأوا ما يتيسر من القرآن والدعاء.

۷. يقول السمهودى(المتوفّى ۹۱۱هـ) فى وصف بقيع الغرقد: قد ابتنى عليها مشاهد، منها المشهد المنسوب لعقيل بن أبى طالب وأُمّهات المؤمنين،تحوى العباس والحسن بن على ...وعليهم قبة شامخة فى الهواء، قال ابن النجار: ...وهى كبيرة عالية، قديمة البناء،

---

۱ ـ رحله ابن جبير، طبع بيروت، دار صادر، وقد زار ابن جبير المدينة المنورة عام ۵۷۸هـ

۲ ـ انساب الاَشراف: ۱|۴۳۶.

(۷۳)

وعليها بابان، يفتح أحدهما فى كلّيوم.وقال المطرى: بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضىء... وقبر العباس وقبر الحسن مرتفعان من الاَرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع الصاق، مصحفة بصفائح الصفر، مكوكبة بمسامير على أبدع صفة وأجمل منظر.(۱)

إلى غير ذلك من الرحالة الذين زاروا المدينة المنورة ووصفوا تلكم المزارات و المشاهد و القباب المرتفعة ونظر الكل إليها بعين الرضا والمحبة لا بعين السخط والغضب.

وهذا النوع من الاتفاق والاِجماع من قبل علماء الاِسلام طيلة قرون أقوى شاهد على جواز البناء على قبور الشخصيات الاِسلامية الذين لهم منزلة ومكانة فى القلوب.

ولنعم ما يقول العلاّمة العاملى:

مضت القرون وذى القباب مشيدة * والناس بين مؤسس ومجدد

فى كلّ عصر فيه أهل الحل والـ * ـعقد الذين بغيرهم لم يعقد

لم ينكروا أبداً على من شادها * شيدت ولا من منكر ومفند

فبسيرة للمسلمين تتابعت * فى كل عصر نستدل ونقتدى (۲_____)

۱ ـ وفاء الوفاء:۳|۹۱۶ـ ۹۲۹.

۲ ـ كشف الارتياب: ۳۹۵.

(۷۴) البناء على القبور من منظار آخر

إنّ صيانة القبور والآثار الباقية من بيت الوحى والعصمة (عليهم السلام)من مظاهر حب النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وتكريمه، وقد أُمر المسلمون فى الكتاب والسنّة بحبه وتكريمه و تبجيله، قال سبحانه: (قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَونَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَونَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِوَجِهاد فى سَبيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّى يَأْتِىَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لا يَهْدى الْقَومَ الْفاسِقينَ) .(۱)

وقال سبحانه فى وصف المؤمنين:(فَالَّذينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّروهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أنْزِلَمَعَهُ أولئِکَ هُمُ الْمُفلِحُونَ) .(۲)

فالآية الكريمة تأمر بأُمور أربعة:

۱. الإيمان به.

۲. تعزيره.

۳. نصرته.

۴. اتباع كتابه وهو النور الذى أُنزل معه_____.

۱ ـ التوبة|۲۴.

۲ ـ الأعراف|۱۵۷.

(۷۵)

وليس المراد من تعزيره هو نصرته، لأنّه قد ذكره بقوله: «نصروه» وإنّما المراد توقيره، وتكريمه وتعظيمه بما انّه نبيُّ الرحمة والعظمة ، ولا يختص تعزيره وتوقيره بحال حياته بل يعمها، كما انّ الإيمان به والتبعية لكتابه لا يختصان بحال حياته الشريفة.

وعلى هذا فحب النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن يمت إليه بصلة أصل إسلامى يجب أن يهتم به المسلمون ويطبقونه فى حياتهم.

ولأجل كرامة رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) ومنزلته يدعو الذكر الحكيم إلى تعظيمه فى المجالس وحفظ كرامته ويقول:

(يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصواتَكُمْ فَوْقَ صَوتِ النَّبِيّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَولِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُون).(۱)

وقال أيضاً: (إِنَّ الَّذينَ يَغُضُّونَ أَصواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ أُولئِکَ الَّذينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبُهُمْ لِلتَّقوى) .(۲)

وقال: (لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِبَعْضِكُمْ بَعضاً).(۳)

فأى إجلال أبلغ من هذا، وأى تقدير أورع من هذا التقدير_____.

۱ ـ الحجرات|۲.

۲ ـ الحجرات|۳.

۳ ـ النور|۶۳.

(۷۶)

وليس الذكر الحكيم وحده هوالداعى والآمر بحب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بل السنّة النبوية تضافرت على لزوم حبه.

قال رسول اللّه: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين».(۱)

وقد تواتر مضمون هذه الرواية عن النبى ص، فمن أراد فليرجع إلى الكتب المعدة لهذا الغرض.(۲) مظاهر الحب

إنّ لهذا الحب مظاهر ومجالى، إذ ليس الحب شيئاً يستقر فى صقع النفس من دون أن يكون له انعكاس خارجى على أعمال الإنسان وتصرفاته، بل من خصائصه أن يظهر أثره على سلوك الإنسان وملامحه.

۱. حب اللّه ورسوله لا ينفك عن اتّباع دينه والاستنان بسنّته والانتهاء عن نواهيه، ولا يعقل أبداً أن يكون المرء محباً لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومع ذلك يخالفه فيما يبغضه ولا يرضيه . و الإتّباع أحد مظاهرالحبّ قال سبحانه: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)(۳) فمن ادّعى الحب فى النفس وخالف فى العمل، فقد جمع بين شيئين متخالفين متضادين_____.

۱ ـ صحيح البخارى:۱|۸، باب حب الرسول من الإيمان من كتاب الإيمان.

۲ ـ كنز العمال:۲|۱۲۶.

۳ ـ آل عمران|۳۱.

(۷۷)

وقد نسب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) البيتان التاليتان:

تعصى الإله وأنت تظهر حبَّه * هذا لعمرى فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لَاطعته * انّ المحب لمن يحب مطيع(۱) ۲. ومن مظاهر هذا الحب، صيانة آثارهم وحفظ معالمهم والعناية بكلّ ما يتصل بهم حتى الاحتفاظ بما صلوا فيه من ألبسة أوشربوا منه الماء من أوان أو استخدموه من أشياء، وتشييد مراقدهم، وتعمير قبورهم ... كلّ ذلك انعكاس طبيعى لهذا الحب الكامن فى النفوس والود المتمكن فى القلوب.

وليس هذا أمراً مختصاً بالمسلمين، بل الأُمم المتحضرة المعتزة بماضيها وتاريخها، تسعى إلى صيانة كلّ أثر تاريخى باق من الماضى وصيانة مراقد شخصياتهم العلمية .

وأخيراً نقول: لا شكّ انّ لهدم الآثار والمعالم التاريخية الإسلامية لا سيما فى مهد الإسلام مكة ومهجر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة المنوّرة، نتائج ومضاعفات خطيرة على الأجيال اللاحقة التى سوف لا تجد أثراً لوقائع التاريخ الإسلامى، وربما تؤول إلى الاعتقاد بأنّ الإسلام قضية مفتعلة وفكرة مبتدعة ليس لها جذور تاريخية، تماماً كما أصبحت قضية السيد المسيح (عليه السلام) فى نظر الغرب قضية اسطورية حاكتها أيدى البابوات والقساوسة، لعدم

---

۱ ـ سفينة البحار، مادة حب.

(۷۸)

وجود آثار ملموسة تدل على أصالة هذه القضية ووجودها التاريخى. إيضاح حديث أبى هياج

بقى هنا سؤال وهو انّ مقتضى هذه الأدلة وإن كان هو جواز البناء على القبور لكن الحديث العلوىّ يمنعنا عنه وهو ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هياج الأسدى، قال: قال لى على بن أبى طالب: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا تدع تمثالاً إلّا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلّاسويته.(۱)

والجواب: انّ الحديث يدل على لزوم تسطيح القبور مقابل تسنيمها ولا صلة له ببناء القبور أو البناء عليه وذلك انّ لفظة «التسوية» تستعمل فى معنيين:

۱. تطلق ويراد منها مساواة شىء بشىء فعندئذٍ تتعدى إلى المفعول الثانى بحرف التعدية كالباء قال سبحانه: (إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمين) .(۲)

وقال سبحانه حاكياً عن حال الكافرين يوم القيامة: (يَومَئِذٍ

---

۱ ـ صحيح مسلم:۳|۶۰،باب الأمر بتسوية القبر؛ و السنن للترمذى:۲|۲۵۶، باب ما جاء فى تسوية القبور.

۲ ـ الشعراء|۹۸.

(۷۹)

يَوَدُّالَّذينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُول لَو تُسَوّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللّهَ حَديثاً) (۱) أى يودّون أن يكونوا تراباً أو أمواتاً تحت الأرض.

۲. تطلق ويراد منها ما هو وصف لنفس الشَىء لا بمقايسته إلى شىء آخر، فعندئذٍ تكتفى بمفعول واحد.

قال سبحانه: (الَّذى خَلَقَ فَسَوّى) .(۲)

وقال سبحانه: (بَلى قادِرينَ عَلى أَنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) .(۳)

ففى هذين الموردين تقع التسوية وصفاً للشىء لا باضافته إلى غيره.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تفسير الحديث فنقول:

لو أراد من قوله: سويته هو مساواة القبر بالاَرض ـ كمساواة شىء بشىء ـ يلزم أن يتّخذ مفعولاً ثانياً بحرف الجر كأن يقول سويته بالاَرض أى جعلتهما متساويين والمفروض انّه اقتصر بمفعول واحد دون الثانى.

فتعين انّ المراد هو الثانى أى كون المساواة وصفاً لنفس الشىء وهو القبر ومعناه عندئذٍ تسطيح القبر فى مقابل تسنيمه،

---

۱ ـ النساء | ۴۲.

۲ ـ الاَعلى | ۲.

۳ ـ القيامة | ۴.

(۸۰)

وبسطه فى مقابل اعوجاجه، وهذا هو الذى فهمه شراح الحديث، وبما انّ السنّة هى التسطيح، والتسنيم طرأ بعد ذلك، أمر علىّ (عليه السلام) بأن يكافح البدعة ويسطح كلّ قبر مسنم.

وممّا يؤيد انّ المراد هو تسطيح القبر انّ مسلم فى صحيحه عنون الباب هكذا «باب الاَمر بتسوية القبر» ثمّ نقل رواية عن ثمامة انّه قال: كنّا مع فضالة بن عبيد فى أرض الروم، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوّى. قال: سمعت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر بتسويته ثمّ أورد بعده حديث أبى الهياج المتقدم.(۱)

وقد فسره أيضاً بما ذكرنا الفقيه القرطبى حيث قال: قال علماوَنا ظاهر حديث أبى الهياج منع تسنيم القبور ورفعها.(۲)

---

۱ ـ صحيح مسلم: ۳ | ۶۱، باب الاَمر بتسوية القبر.

۲ ـ تفسير القرطبى: ۱۰ | ۳۸۰.

(۸۱)

۴–بناء المساجد على القبور والصلاة فيها

۴–بناء المساجد على القبور والصلاة فيها إنّ بناء المساجد على القبور أو عندها والصلاة فيها مسألة فقهية فرعية لا تمتُّ إلى العقائد بصلة.

فالمرجع فى هذه المسائل هم أئمّة المذاهب وفقهاء الدين يستنبطون حكمه من الكتاب والسنّة، وليس لنا تكفير أو تفسيق واحد من الطرفين إذا قال بالجواز أو بعدمه، وكم من مسألة فقهية اختلفت فيها آراء الفقهاء والمجتهدين، ونحن بدورنا نعرض المسألة على الكتاب والسنّة لنستنبط حكمها من أوثق المصادر الفقهية.

الذكر الحكيم يشرح لنا كيفية عثور الناس على قبور أصحاب الكهف وانّهم ـ بعد العثور ـ اختلفوا فى كيفية تكريمهم وإحياء ذكراهم والتبرّك بهم على قولين: فمن قائل: يُبنى على قبورهم بنيان ليُخلَد ذكراهم بين الناس.

إلى قائل آخر: يبنى على قبورهم مسجداً يصلّى فيه.

وقد حكى سبحانه كلا الاقتراحين من دون تنديد بواحد

(۸۲)

منهما، قال سبحانه: (وَكَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا انَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَانَّ السّاعَةَ لا رَيْبَ فيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ

بُنْياناً ربُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً).(۱)

قال المفسرون: إنّ الاقتراح الاَوّل كان لغير المسلمين ويوَيده قولهم فى حقّ أصحاب الكهف:(رَبّهم أَعْلَمُ بِهِم) وهو ينمَّ عن اهتمام بالغ بحالهم ومكانتهم فحوَّلوا أمرهم إلى ربّهم.

وأمّا الاقتراح الثانى فنفس المضمون (اتخاذ قبورهم مسجداً) شاهد على أنّ المقترحين كانوا هم الموَمنين، وما اقترحوا ذلك إلاّ للتبرّك بالمكان الذى دفنت فيه أجساد هوَلاء الموحدين.

والقرآن يذكر ذلك الاقتراح من دون أن يعقب عليه بنقد أورد وهو يدل على كونه مقبولاً عند مُنزل الوحى.

قال الطبرى فى تفسير الآية: إنّ المبعوث دخل المدينة فجعل يمشى بين ظهرى سوقها فيسمع أُناساً كثيرين يحلفون باسم عيسى بن مريم، فزاده فرقاً ورأى أنّه حيران، فقام مُسْنِداً ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة، ويقول فى نفسه: واللّه ما أدرى ما هذا أمّا عشية أمس فليس على الاَرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلاّ قتل، وأمّا الغداة فأسمعهم وكلّ إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف، ثمّ قال فى نفسه:

---

۱ ـ الكهف | ۲۱.

لعلّهذه ليست بالمدينة التى أعرف.(۱) سيرة المسلمين فى البناء على قبور الصالحين

إنّسيرة المسلمين تكشف عن جواز بناء المساجد على قبور الصالحين الذين يُتبرّك بهم ولهم مكانة عالية فى قلوبهم، ويدل على ذلك الاُمور التالية:

أ. دفن النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) فى بيته الذى فيه وكان فى جوار المسجد النبوى ولما كثر المسلمون وازداد عددهم وضاق المسجد بهم أدخلوا الجانب الشرقى ـ الذى كان فيه بيوت أزواج النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) والبيت الذى دفن فيه ـ فى المسجد النبوى على نحو يقف المصلون أطراف القبر من الجوانب الاَربعة ويحيطون به.

يقول الطبرى فى حوادث سنة ۸۸: إنّه فى شهر ربيع الاَوّل من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوى وإضافة حجر رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه، باشتراء الاَملاك المحيطة به، فأخبر عمر الفقهاء العشرة وأهل المدينة بذلك، فحبذوا بقاء تلك الحُجُر على حالها ليعتبر بها المسلمون، ويكون أدعى لهم إلى الزهد اقتداءً بنبيهم، فكاتب ابن عبد العزيز الوليد فى ذلك، فأرسل إليه يأمره بالخراب،

---

۱ ـ تفسير الطبرى:۱۵ | ۱۴۵.

وتنفيذ ما ذكره فى كتابه الاَوّل، فضجَّ بنو هاشم وتباكوا، ولكن عمر نفّذ ما أمره به الوليد، فأدخل الحجرة النبوية (حجرة عائشة) فى المسجد، فدخل القبر فى المسجد وسائر حجرات أُمّهات الموَمنين وقد بنى عليه سقف مرتفع كما أمر الوليد.(۱)

فإذا كان هذا العمل بمرأى ومسمع من فقهاء المدينة العشرة والمسلمين عامة، وفى مقدم التابعين منهم على بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن على الباقر (عليهم السلام)اللّذين لم يشكّ أحد فى زهدهما وعلمهما وعرفانهما. فهو أوضح دليل على جواز إقامة المسجد عند قبور الاَنبياء والصالحين والصلاة فيه.

وقد أقر هذا العمل كلّالتابعين وجاء بعدهم إمام دار الهجرة مالك بر أئمّة المذاهب الاَربعة فلم يعترضوا عليه بشىء.

ب . يقول السمهودى فى حقّ السيدة فاطمة بنت أسد أُمّ الإمام أمير الموَمنين على (عليه السلام) : فلمّا توفيت خرج رسول اللّه فأمر بقبرها فحفر فى موضع المسجد الذى يقال له اليوم قبر فاطمة.(۲)

والعبارة تدل على أنّهم بنوا المسجد بعد تدفينها.

وقال فى موضع آخر: إنّ مصعب بن عمير وعبد اللّه بن جحش دفنا تحت المسجد الذى بنى على قبر حمزة.(۳)

---

۱ ـ راجع تاريخ الطبرى:۵|۲۲۲؛البداية والنهاية:۸|۶۵.

۲ ـ وفاء الوفاء:۳|۸۹۷.

۳ ـ المصدر السابق:۳|۹۲۲.

(۸۵)

ج. انّ السيدة عائشة قضت حياتها فى بيتها وصلّت فيه تمام عمرها، ولم يكن بينها وبين القبر أىّ جدار إلى أن دفن عمر فبنى جدار حال بينها وبين القبور الثلاثة.(۱)

د. روى البيهقى انّ فاطمة بنت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت تذهب إلى زيارة قبر عمها حمزة فتبكى وتصلى عنده.(۲)

أخرج الحاكم، عن سليمان بن داود، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن على بن الحسين (عليهم السلام)، عن أبيه، انّ فاطمة بنت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): كانت تزور قبر عمها حمزة كلّ جمعة فتصلى وتبكى عنده.

قال الحاكم: وهذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات. وأقرّه الذهبى عليه ونقله البيهقى فى سننه.(۳)

وهذا يدل على بناء المسجد على قبر حمزة فى حياة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والصلاة فيه.

هـ انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ فى معراجه الذى بدأ به من المسجد الأقصى ـ نزل فى المدينة، وطور سينا وبيت لحم، وصلّى فيها، فقال جبرئيل: صليت فى «طيبة» وإليها مهاجرتك، وصليت فى طور سينا حيث كلم اللّه موسى، وصليت فى بيت لحم حيث ولد المسيح.(۴)

---

۱ ـ وفاء الوفاء:۲|۵۴۱.

۲ ـ السنن الكبرى: ۴|۷۸.

۳ ـ مستدرك الحاكم:۱|۳۷۷.

۴ ـ الخصائص الكبرى:۱|۱۵۴.

(۸۶)

هل هناك فرق بين المدفن والمولد، مع انّ الصلاة فى كلٍ، لغاية واحدة وهى التبرّك بالإنسان المثالى الذى مسّ جسده الطاهر، ذلك التراب بداية عمره أو نهايته؟!

وبما انّ الكتاب ـ مضافاً إلى السيرة المستمرة بعد رحيل رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يومنا هذا ـ دليل قطعى، يكون محكماً يؤخذ به، وما دلّ على خلافه، يكون متشابهاً، فيرد إلى المحكم ويفسره بفضله.

ربما يتراءى من بعض الروايات عدم جواز اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

فروى عن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) انّه قال: قاتل اللّه اليهود اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفى رواية أُخرى: لعن اللّه اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفى رواية ثالثة: ألا وإنّ من كل قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد.(۱)

ولنا مع هذه الأحاديث وقفة قصيرة، وذلك لأنّ تاريخ اليهود لا يتفق مع مضامين تلك الروايات، لأنّ سيرتهم قد قامت على قتل

---

۱ ـ للوقوف على مصادر هذه الأحاديث راجع صحيح البخارى: ۲|۱۱۱ كتاب الجنائز؛ سنن النسائى:۲|۸۷۱، كتاب الجنائز؛ صحيح مسلم:۲|۶۸، باب النهى عن بناء المساجد على القبور من كتاب المساجد.

(۸۷)

الأنبياء وتشريدهم وإيذائهم إلى غير ذلك من أنواع البلايا التى كانوا يصبّونها على أنبيائهم.

ويكفى فى ذلك قوله سبحانه: (لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَولَ الَّذينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ فَقيرٌ وَنَحْنُ أَغْنياءُ سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَريق) .(۱)

وقوله سبحانه: (قُلْ قَدْجاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلى بِالْبَيِّناتِ وَبِالّذى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ) .(۲)

وقال سبحانه: (فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وكُفْرِهِمْ بِآياتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...) .(۳)

أفتزعم انّ أُمّة قتلت أنبياءها فى مواطن مختلفة تتحول إلى أُمّة تشيد المساجد على قبور أنبيائها تكريماً وتبجيلاً لهم.

وعلى فرض صدور هذا العمل عن بعضهم، فللحديث محتملات أُخرى غير الصلاة فيها والتبرّك بصاحب القبر وهى:

أ. اتخاذ القبور قبلة.

ب. السجود على القبور تعظيماً لها بحيث يكون القبر مسجوداً عليه_____.

۱ ـ آل عمران|۱۸۱.

۲ ـ آل عمران|۱۸۳.

۳ ـ النساء|۱۵۵.

(۸۸)

ج. السجود لصاحب القبر بحيث يكون هو المسجود له، فالقدر المتيقن هو هذه الصور الثلاث لا بناء المسجد على القبور تبرّكاً بها.

والشاهد على ذلك انّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حسب بعض الروايات يصف هؤلاء بكونهم شرار الناس .

أخرج مسلم فى كتاب المساجد: انّ أُمّ حبيبة وأُمّ سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال رسول اللّه : (صلى الله عليه وآله وسلم)إنّ أُولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنى على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور، أُولئك شرار الخلق عند اللّه يوم القيامة.(۱)

إنّ وصفهم بشرار الخلق يميط اللثام عن حقيقة عملهم إذ لا يوصف الإنسان بالشر المطلق إلّا إذا كان مشركاً ـ و إن كان فى الظاهر من أهل الكتاب ـ قال سبحانه: (إِنَّ شَرَّ الدّوابّ عِنْدَ اللّهِ الصُّمُّ البُكْمُ الّذينَ لا يَعْقِلُون).(۲)

وقال: (إِنَّ شَرَّ الدَّوابّ عِنْدَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) .(۳)

وهذا يعرب عن انّ عملهم لم يكن صرفَ بناء المسجد على القبر والصلاة فيه، أو مجرد إقامة الصلاة عند القبور، بل كان عملاً مقروناً بالشرك بألوانه وهذا كما فى اتخاذ القبر مسجوداً له أو

---

۱ ـ صحيح مسلم:۲|۶۶، باب النهى عن بناء المساجد على القبور من كتاب المساجد.

۲ ـ الأنفال|۲۲.

۳ ـ الأنفال|۵۵.

(۸۹)

مسجوداً عليه أو قبلة يصلى عليه.

قال القرطبى: وروى الأئمة عن أبى مرثد الغنوى قال: سمعت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: لا تصلّوا إلى القبور، ولا

تجلسوا عليها «لفظ مسلم» أى لا تتخذّوها قبلة فتصلّوا عليها أو إليها كما فعل اليهود و النصارى فيوَدى إلى عبادة من فيها.(۱)

إنّ الصلاة عند قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّما هو لاَجل التبرّك بمن دفن، ولا غروَ فيه وقد أمر سبحانه الحجيج باتخاذ مقام إبراهيم مصلى قال سبحانه: (وَاتَّخِذوا مِنْ مَقامِ إِبْراهيمَ مُصلّى) .(۲)

إنّ الصلاة عند قبور الاَنبياء كالصلاة عند مقام إبراهيم غير انّ جسد النبى إبراهيم (عليه السلام) لامس هذا المكان مرّة أو مرات عديدة، ولكن مقام الاَنبياء احتضن أجسادهم التى لا تبلى أبداً.

هذا وانّ علماء الاِسلام فسروا الروايات الناهية بمثل ما قلناه.

قال البيضاوى: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الاَنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون فى الصلاة نحوها، واتخذوها أوثاناً، لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك. فأمّا من اتخذ مسجداً فى جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم ولا

---

۱ ـ تفسير القرطبى:۱۰|۳۸.

۲ ـ البقرة|۱۲۵.

للتوجه ونحوه، فلا يدخل فى الوعيد المذكور.(۱)

وقال السندى شارح سنن النسائى: اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، أى قبلة للصلاة ويصلون إليها، أو بنوا مساجد يصلون فيها، ولعلّ وجه الكراهة أنّه قد يفضى إلى عبادة نفس القبر.

إلى أن يقول: يحذر النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) أُمّته أن يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم من اتخاذ تلك القبور مساجد، إمّا بالسجود إليها تعظيماً لها أو بجعلها قبلة يتوجهون فى الصلاة إليها.(۲)

---

۱ ـ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى:۱|۵۲۵، طبعة دار المعرفة؛ وقريب منه ما فى إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى:۲|۴۳۷، باب بناء المسجد على القبور.

۲ ـ سنن النسائى:۲|۴۱.

۵- التوسّل بالاَنبياء و الصالحين

۵- التوسّل بالاَنبياء و الصالحين إنّ عالم الكون عالم فسيح لا يحيط الاِنسان بأسراره ودقائقه، وما اكتشفه الاِنسان منها فإنّما هو ضئيل بالنسبة إلى ما خفى عليه.

كيف وما أُوتى من العلم إلّاقليلاً ، قال سبحانه: (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِرَبّى وَما أُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلّا قَليلاً) .(۱)

هذا هو العالم الفيزيائى الذائع الصيت أنشتاين(المتوفّى عام ۱۹۵۵م) قال: إنّ نسبة ما أعلم إلى ما لا أعلم كنسبة هذا الدرج إلى مكتبتى.(۲)

ولو أنصف لكان عليه أن يقول حتى أقل من هذه النسبة، وكان الاَولى أن يقول نسبة هذا الدرج إلى أطباق السماء.

وعلى ضوء ذلك فللّه سبحانه فى هذا العالم أسباب و علل لم يصل إليها البشر مع ما بذل من الجهود_____.

۱ ـ الاسراء|۸۵.

۲ ـ مجلة رسالة الاِسلام السنة الرابعة، العدد الاَوّل، مقال الكاتب المصرى أحمد أمين.

(۹۲)

ثمّ إنّ الاَسباب تنقسم إلى طبيعيـة ومادیـة وإلى غيبيـة وإلهيـة، أمّا الاَوّل فالنظام الكائن مبنى على العلل والاَسباب الطبيعيـة وتأثير كلّ سبب طبيعي ومادى بإذن اللّه سبحانه، وليس للعلم دور سوى الكشف عن هذه الاَسباب المادية.

غير انّ المادى ينظر إلى هذه الاَسباب بنظرة استقلالية ولكن الاِلهى ينظر إليها نظرة تبعية قائمة باللّه سبحانه، موَثرة بإذنه، وهذا هو ذو القرنين يتمسك بالاَسباب الطبيعية فى إيجاد السد أمام يأجوج ومأجوج ويستعين بالاَسباب ولا يراها مخالفاً للتوحيد.

قال سبحانه حاكياً عنه: (آتُونى زُبَرَ الْحَديد حَتّى إِذا سَاوى بَيْنَ الصَّدَفَيْن قالَ انْفُخُوا حَتّى إِذا جَعَلَهُ ناراً قالَ آتُونى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً* فَما اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً* قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبّى جَعَلَهُ دَكّاءَ وَكانَ وَعْدُ رَبّى حَقّاً).(۱)

إنّ الاستعانة بالاَحياء والاستغاثة بهم أمر جرت عليه سيرة العقلاء، وهذا موسى الكليم استغاثه بعض شيعته فأجابه دون أن يخطر ببال أحد انّالاستغاثة لا تجوز إلاّ باللّه، قال سبحانه: (وَدَخَلَ المَدينةَ عَلى حين غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شيعَتِهِ وَهذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاستَغاثَهُ الَّذى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقضى عَلَيْهِ) .(۲)

---

۱ الكهف|۹۶ـ ۹۸.

۲ ـ القصص|۱۵.

(۹۳)

وما هذا إلاّ لاَنّ موسى وشيعته تعتقد بأنّ المغيث إنّما يغيث بقوة وإذن منه سبحانه، فلا مانع من طلب النجدة والاستغاثة والاستعانة من الاَحياء شريطة القيد المذكور، وقد أُشير إليه فى قوله سبحانه: (وَمَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ الْعَزيزِ الحَكيم) .(۱)

***

كلّ ما ذكرنا كان يعود إلى التوسل بالاَحياء والاَسباب الطبيعية، وهذا ليس مورد بحث و نقاش.

إنّما الكلام فى التوسل بالاَنبياء والاَولياء لا على الطريق المألوف وله أقسام:

أ. التوسل بدعاء النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) أو الصالحين فى حال حياتهم.

ب. التوسل بذات النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) قدسيته وشخصيته.

ج. التوسل بحقّ النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) والاَنبياء والصالحين.

د. التوسل بدعاء النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) والصالحين بعد رحيلهم.

هـ طلب الشفاعة من النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) والاَولياء.

وإليك دراسة كلّواحد منها: أ. التوسل بدعاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الصالحينفى حال حياتهم

اتّفق المسلمون على جواز التوسل بدعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

۱ ـ آل عمران|۱۲۶.

(۹۴)

فى حال حياته، بل يستحب التوسل بدعاء المومن كذلك، قال سبحانه: (ولَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَاسْتَغْفروا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَلَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحيماً) .(۱)

تجد انّه سبحانه يدعو الظالمين إلى المجيء إلى مجلس الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كى يستغفر لهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وفى آيـة أخرى يندد بالمنافقين بأنّهم إذا دعوا إلى المجيء إلى مجلس الرسول(صـلى الله عليه وآله وسـلم) وطلب المغفرة منه تنكروا ذلـك واعـترضوا عليـه بلىّ الرأس، قـال سـبحانه: (وَإِذا قِيـلَ لَهُـمْ تَعـالَوْا يَسْـتَغْفِر لَكُمْ رَسُـولُ اللّهِ لَـوَّوْا رُؤُسَـهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُـدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) .(۲)

وتاريخ الاِسلام حافل بنماذج عديدة من هذا النوع من التوسل . ب. التوسل بذات النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) و قدسيته وشخصيته وها هنا وثيقـة تاريخية ننقلها بنصـها تعرب عن توسل الصـحابة بدعاء النبى(صـلى الله عليه وآله وسـلم) فى حال حياته أوّلاً، وبقدسـيته وشخصيته ثانياً، والمقصود من نقلها هو الاستدلال على الاَمر الثانى.

روى عثمـان بـن حنيـف انّـه قـال: إنّ رجلاً ـ ضـريراً أتى النـبى (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) فقـال: ادع اللّـه أن يعـافينى؟

---

۱ ـ النساء|۶۴.

۲ ـ المنافقون|۵.

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير؟

قـال: فـادعه ، فـأمره(صـلى الله عليه وآله وسـلم) أن يتوضـأ فيحسن وضوءه ويصـلى ركعتين ويـدعو بهـذا الـدعاء : «اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة،يا محمد إنّى أتوجه بك إلى ربّى فى حاجتى لتقضى، اللّهمّ شفّعه فى».

قال ابن حنيف: فواللّه ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتّى دخل علينا كأن لم يكن به ضرّ.

وهذه الرواية من أصح الروايات، قال الترمذى: هذا حديث حق، حسن صحيح.(۱)

وقال ابن ماجة: هذا حديث صحيح.(۲)

ويستفاد من الحديث أمران

الاَوّل: أن يتوسل الاِنسان بدعاء النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ويدل على ذلك قول الضرير: ادعوا اللّه أن يعافينى،وجواب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن شئتَ دعوتُ ، وإن شئت صبرت وهو خير.

الثانى: انّه يجوز للاِنسان الداعى أن يتوسل بذات النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى ضمن دعائه وهذا يستفاد من الدعاء الذى

---

۱ ـ صحيح الترمذى۵، كتاب الدعوات، الباب ۱۱۹ برقم ۳۵۷۸ ؛سنن ابن ماجة:۱|۴۴۱ برقم ۱۳۸۵؛ مسندأحمد:۴|۱۳۸؛ إلى غير ذلك.

۲ ـ صحيح الترمذى۵، كتاب الدعوات، الباب ۱۱۹ برقم ۳۵۷۸ ؛سنن ابن ماجة:۱|۴۴۱ برقم ۱۳۸۵؛ مسندأحمد:۴|۱۳۸؛ إلى غير ذلك.

علّمه النبى(صـلى الله عليه وآله وسـلم) للضـرير، والاِمعان فيه يثبت هذا المعنى، وانّه يجوز لكلّ مسلم فى مقام الدعاء أن يتوسل بذات النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) ويتوجه به إلى اللّه.

وإليك الجمل التى تدل على هذا النوع من التوسل:

۱. اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجه إليك بنبيّك

انّ كلمـه «بنبيّـك» متعلّق بفعلين «أسألـك» و«أتـوجه إليـك» والمراد من النـبى(صـلى الله عليه وآله وسـلم) نفسه القدسـية وشخصـيته الكريمة لا دعاءه.

۲. محمد نبى الرحمة

نجد انّه يذكر اسم النبى(صـلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ يصفه بنبى الرحمة معرباً عن أنّ التوسل بذات النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

بما لها من الكرامة والفضيلة.

۳. يا محمّد إنّى أتوجه بك إلى ربّى

إنّ جملة: «يا محمّد إنّى أتوجه بك إلى ربّى» تدل على أنّالضرير حسب تعليم الرسول، اتخذ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه وسيلة لدعائه وتوسل بذاته بما لها من المقام والفضيلة.

وهذا الحديث يرشدنا إلى أمرين:

الاَوّل: جواز التوسل بدعاء الرسول.

الثانى:جواز التوسل إلى اللّه بذات النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بما لها من الكرامة والمنزلة عند اللّه تبارك و تعالى.

أمّا الاَوّل، فقد جاء فى محاورة الضرير مع النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

(۹۷)

،فكان الموضوع هو دعاء الرسول، أى طلب الضرير الدعاء منه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وأمّا الثانى، فيستفاد من الدعاء الذى علّمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للضرير، فانّه يضمن التوسل بشخص النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

نعم لم يكن يدور فى خلد الضرير سوى التوسل بدعائه ولكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) علمه دعاء جاء فيه التوسل بذات النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو فى نوعه توسل ثان، وبذلك وقفنا على أنّه يستحب للمسلم أن يتوسل بدعاء الصالحين من الاَنبياء والاَولياء كما يجوز له فى دعائه التوسل بذواتهم ومقامهم ومنزلتهم.

ويظهر من الاَحاديث الشريفة انّ أصحاب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا يتوسلون بذات النبى«صلى الله عليه وآله وسلم» فى مقام الابتهال والدعاء حتى بعد رحيل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

أخرج الطبرانى، عن أبى أُمامة بن سهل بن حنيف، عن عمّه عثمان بن حنيف: انّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان فى حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته، فلقى ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائتِ الميضاة فتوضأ، ثم ائتِ المسجد فصلِ فيه ركعتين، ثمّ قل: «اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجه إليك بنبيّنا محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) نبى الرحمة، يا محمد إنّى أتوجه بك إلى ربّى فتقضى لى حاجتى» فتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثمّ أتى باب عثمان بن عفان،

(۹۸)

فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثمّ قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثمّ إنّ الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك اللّه خيراً ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلىَّ حتّى كلّمته فىّ، فقال عثمان بن حنيف: واللّه ما كلّمته، ولكنى شهدت رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : فتصبر؟ فقال: يا رسول اللّه ليس لى قائد فقد شقّ علىَّ.

فقال النبى ص: إئت الميضاة فتوضأ، ثمّ صلّ ركعتين، ثمّ ادع بهذه الدعوات.

قال ابن حنيف: فواللّه ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنّه لم يكن به ضّر قط.(۱)

***

إنّ سيرة المسلمين فى حياة النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وبعدها، استقرت على أنّهم كانوا يتوسلون بأولياء اللّه والصالحين من عباده، دون أن يدور فى خلد أحد منهم بأنّه أمر حرام أو شرك أو

۱ ـ المعجم الكبير للحافظ سليمان بن أحمد الطبرانى: ۹|۳۰ـ ۳۱، باب ما أسند إلى عثمان بن حنيف برقم ۸۳۱۱؛ والمعجم الصغير له أيضاً:۱|۱۸۳ـ ۱۸۴.

(۹۹)

بدعة، بل كانوا يرون التوسل بدعاء الصالحين طريقاً إلى التوسل بمنزلتهم، وشخصيتهم، فانّه لو كان لدعاء الرجل الصالح أثر، فإنّما هو لَاجل قداسة نفسه وطهارتها، ولولاهما لما استجيبت دعوته، فما معنى الفرق بين التوسل بدعاء الصالح وبين التوسل بشخصه وذاته، حتى يكون الاَوّل نفس التوحيد و الآخر عين الشرك أو ذريعة إليه.

إنّ التوسل بقدسية الصالحين، والمعصومين من الذنب، والمخلصين من عباد اللّه لم يكن قط أمراً جديداً بين الصحابة بل كان ذلك امتداداً للسيرة الموجودة قبل الاِسلام، فقد تضافرت الروايات التاريخية على ذلك وإليك البيان: ۱. استسقاء عبد المطلب بالنبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو رضيع:

لقد استسقى عبد المطلب بالنبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو طفل صغير، حتى قال ابن حجر: إنّ أبا طالب يشير بقوله:

وابيض يستقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للاَرامل إلى ما وقع فى زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبى(صلى الله عليه وآله وسلم) معه غلام.(۱) ۲. استسقاء أبى طالب بالنبى(صلى الله عليه وآله وسلم) :

أخرج ابن عساكر عن ابن عرفلة، قال: قدمت مكة وقريش فى

۱ ـ فتح البارى: ۲|۳۹۸؛ دلائل النبوة:۲|۱۲۶.

(۱۰۰)

قحط .... فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادى وأجدب العيال، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام ـ يعنى : النبى«صلى الله عليه وآله وسلم» كأنّه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء، وحوله اغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ باصبعه الغلام وما فى السماء قزعه، فأقبل السحاب من هاهنا و من هاهنا واغدودق وانفجر له الوادى وأخصب النادى والبادى، وفى ذلك يقول أبو طالب فى قصيدة يمدح بها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) :

وابيض يستقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمةللاَرامل(۱) وقد كان استسقاء أبى طالب بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو غلام، بل استسقاء عبد المطلب به وهو صبى أمراً معروفاً بين العرب، وكان شعر أبى طالب فى هذه الواقعة مما يحفظه أكثر الناس.

ويظهر من الروايات أنّ استسقاء أبى طالب بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان موضع رضا من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فانّه بعد ما بعث للرسالة استسقى للناس، فجاء المطر واخصب الوادى فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) :«لو كان أبو طالب حيّاً لقرّت عيناه، من ينشدنا قوله؟».

فقام على (عليه السلام) وقال: يا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كأنّك أردت قوله:

وابيض يستقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للاَرامل(۲_____)

۱ ـ السيرة الحلبية:۱|۱۱۶.

۲ ـ إرشاد السارى: ۲|۳۳۸.

(۱۰۱)

إنّ التوسل بالاَطفال الاَبرياء فى الاستسقاء أمر ندب إليه الشرع الشريف، فهذا هو الاِمام الشافعى يقول : أن يخرج الصبيان، ويتنظفوا للاستسقاء وكبار النساء ومن لا هيئة له منهنّ، ولا أحب خروج ذوات الهيئة ولا آمر بإخراج البهائم.(۱)

وما الهدف من إخراج الصبيان والنساء الطاعنات فى السن، إلّا استنزال الرحمة بهم وبقداستهم وطهارتهم، وكلّ ذلك يعرب عن أنّ التوسل بالأبرياء والصلحاء والمعصومين مفتاح استنزال الرحمة وكأنّالمتوسل بهم يقول: ربّى و سيدى انّ الصغير معصوم من الذنب،و الكبير الطاعن فى السن أسيرك فى أرضك، وكلتا الطائفتين أحقّ بالرحمة والمرحمة، فلأجلهم أنزل رحمتك إلينا،حتى تعمنا فى ظلهم.

فانّ الساقى ربما يسقى مساحة كبيرة لأجل شجرة واحدة وفى ظلها تسقى الأعشاب غير المفيدة.

وعلى ضوء هذا التحليل يفسر توسل الخليفة بعمّ الرسول: «العباس بن عبد المطلب» الذى سيمر عليك، وأنّه كان توسلاً بشخصه وقداسته وصلته بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعلم بالتالى انّ هذا العمل كان امتداداً للسيرة المستمرة، وانّ هذا لا يمت إلى التوسل بدعاء العباس بصلة_____.

۱ ـ الأُمّ:۱|۲۴۸، باب خروج النساء والصبيان فى الاستسقاء.

(۱۰۲) ۳.التوسل بعمّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

أخرج البخارى فى صحيحه ،عن أنس: «انّ عمر بن الخطاب كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب (رض) فقال: اللّهمّ إنّا كنّا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا، وانّا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا. قال: فيسقون».(۱)

هذا ما نصّ عليه البخارى وهو يدل على أنّ عمر بن الخطاب عند دعائه واستسقائه توسل بعمّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وشخصه وشخصيته وقدسيته وقرابته من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لا بدعائه ويدل على ذلك:

قول الخليفة عند الدعاء: «اللّهمّ كنّا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا وانّا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا» وهذا ظاهر فى أنّ الخليفة قام بنفسه بالدعاء عند الاستسقاء، وتوسل بعمّ الرسول وقرابته منه فى دعائه. ج. التوسل بحقّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والأنبياء والصالحين

وهناك لون آخر من التوسل وهو التوسل بحقّ الأنبياء والمرسلين، والمراد الحقّ الذى تفضل به سبحانه عليهم فجعلهم أصحاب الحقوق، وليس معنى ذلك انّ للعباد أو للصالحين على اللّه حقّاً ذاتياً يلزم عليه تعالى الخروج منه، بل الحقّ كلّه للّه، وإنّما المراد

---

۱ ـ صحيح البخارى:۲|۲۷ ، باب صلاة الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا من كتاب الصلاة.

(۱۰۳)

، الحقّ الذى منحه سبحانه لهم تكريماً، وجعلهم أصحاب حقّ على اللّه، كما قال سبحانه: (وَكانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ) .(۱)

ويدل على ذلك من الروايات ما يلى:

أ. روى أبو سعيد الخدرى: قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) : من خرج من بيته إلى الصلاة، وقال: اللّهمّ إنّى أسألك بحقّ السائلين عليك، وأسألك بحقّ ممشاى هذا،فانّى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سُخْطِك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذنى من النار، وأن تغفر لى ذنوبى انّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت، أقبل اللّه عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك.(۲)

ب. روى عمر بن الخطاب، قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) : لما اقترف آدم الخطيئة، قال: ربّى أسألك بحقّمحمّد لما غفرت لى، فقال اللّه عزّوجلّ: يا آدم كيف عرفت محمّداً ولم أخلقه قال: لأنّك لما خلقتنى بيدك ونفخت فيّمن روحك، رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلاّاللّه، محمد رسول اللّه، فعلمت انّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك، فقال اللّه عزّ وجلّ: صدقت يا آدم انّه لأحبّ الخلق إلىّ ، وإذا سألتنى بحقّه فقد غفرت ولولا محمّد ما خلقتك.(۳)

---

۱ ـ الروم|۴۷.

۲ ـ سنن ابن ماجة:۱|۲۵۶رقم ۷۷۸، باب المساجد؛ مسند أحمد:۳|۲۱.

۳ ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى:۵|۴۸۹، دار الكتب العلمية.

(۱۰۴)

ج. روى الطبرانى بسنده عن أنس بن مالك انّه لما ماتت فاطمة بنت أسد حفروا قبرها، فلمّا بلغوا اللحد حفر رسول اللّه بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول اللّه فاضطجع فيه، وقال: اللّه الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأُمّى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلى، فانّك أرحم الراحمين.(۱)

إلى هنا تم البحث عن أقسام التوسل الثلاثة وعرفت انّ الجميع يدعمه الكتاب والسنة وتصور انّ التوسل بغيره سبحانه تأليه وعباده لغيره قد عرفت بطلانه وذلك لوجهين:

الوجه الأوّل: لو كان التوسل بدعاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وذاته أو حقّه شركاً يلزم أن يكون كلّ توسل كذلك حتى التوسل بالغير فى الأُمور العادية مع أنّه باطل بالضرورة، لأنّ الجميع من قبيل التوسل بالأسباب، عادية كانت أو غير عادية، طبيعيةً كانت أو غير طبيعية.

الوجه الثانى: قد عرفت فى تعريف العبادة انّه الخضوع أمام الغير بما هو إله أو ربّ أو مفوض إليه أُموره سبحانه، وليس واحد من هذه القيود متحّققاً فى التوسل بالأنبياء والصالحين والشهداء بل يتوسل بهم بما انّهم عباد مكرمون يستجاب دعاوَهم عند اللّه سبحانه، أو انّ لذواتهم وحقوقهم منزلة عند اللّه، فالتوسل بهم يثير

---

۱ ـ معجم الطبرانى الأوسط: ۳۵۶ ؛ حلية الأولياء:۳|۱۲۱؛ مستدرك الحاكم: ۳|۱۰۸.

(۱۰۵)

بحار رحمته.

كيف يكون التوسل بنبى التوحيد(صلى الله عليه وآله وسلم) شركاً مع أنّه يتوسل به بما انّه مكافح للشرك ومقوض لدعائمه؟ د. التوسل بدعاء النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) والصالحين بعد رحيلهم

من أقسام التوسل الرائجة بين المسلمين هو التوسل بدعاء النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) أو الصالحين بعد رحيلهم .

ولكن ثمة سؤالاً يطرح نفسه وهو:

انّ التوسل بدعاء الغير إنّما يصحّ إذا كان الغير حياً يسمع دعاءك ويستجيب لك ويدعو اللّه سبحانه لقضاء وطرك ونجاح سؤالك، أمّا إذا كان المستغاث ميتاً انتقل من هذه الدنيا فكيف يصحّ التوسل بمن انتقل إلى رحمة اللّه وهو لا يسمع؟

والجواب: انّ الموت ـ حسب ما يوحى إليه القرآن والسنّة النبوية ـ ليس بمعنى فناء الإنسان وانعدامه، بل معناه الانتقال من دار إلى دار وبقاء الحياة بنحو آخر والذى يعبر عنه بالحياة البرزخية.

(۱۰۶)

وتدل على بقاء الحياة آيات من الذكر الحكيم نقتصر على بعضها: الآية الأُولى:

قوله تعالى: (وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فى سَبيلِ اللّهِ أَمْواتٌ بَلْأَحْياءٌ وَلكِنْلا تَشْعُرُونَ) .(۱)

وقد كان المشركون يقولون: إنّ أصحاب محمّد يقتلون أنفسهم فى الحروب دون سبب، ثمّ يقتلون ويموتون فيذهبون، فوافى الوحى رداً عليهم بأنّه ليس الأمر على ما يقولون، بل هم أحياء وإن كان المشركون وغيرهم لا يدركون ذلك. الآية الثانية

قوله تعالى: ۱. (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا فى سَبيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون) .

۲. (فَرِحينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلّا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

۳. (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَإِنَّ اللّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنينَ) .(۲)

---

۱ ـ البقرة|۱۵۴.

۲ ـ آل عمران|۱۶۹ـ ۱۷۱.

(۱۰۷)

والآيات هذه صريحة فی بقاء الاَرواح بعد مفارقتها الاَبدان، وبعد انفكاك الاَجسام و بلاها، كما يتضح ذلك من الاِمعان فی المقاطع الاَربعة التالية:

۱. (أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ).

۲.(يُرْزَقُونَ) .

۳. (فَرِحينَ) .

۴. (وَيَسْتَبْشِرُونَ) .

والمقطع الثانی يشير إلی التنعم بالنعم الاِلهية، والثالث والرابع يشير إلی النعم الروحية والمعنوية، وفی الآية دلالة واضحة علی بقاء الشهداء بعد الموت إلی يوم القيامة.

وقد نزلت الآية: إمّا فی شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الاَنصار وستة من المهاجرين، وإمّا فی شهداء أُحد وكانوا سبعين رجلاً، أربعة من المهاجرين: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وعثمان بن شماس، وعبد اللّه بن جحش وسائرهم من الاَنصار، وعلی قول نزلت فی حقّ كلتا الطائفتين. الآية الثالثة

قوله سبحانه: (وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدينَةِ رَجُلٌ يَسْعی قالَ يا قَومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلينَ* اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ* وَمالِيَ لا

(۱۰۸)

أَعْبُدُ الَّذِی فَطَرنی وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنّی شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونِ* إِنّی إِذاً لَفی ضَلالٍ مُبينٍ* إِنّی آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ* قيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمی يَعْلَمُونَ* بِما غَفَرَ لی رَبّی وَجَعَلَنی مِنَ الْمُكْرَمينَ* وَما أَنْزَلْنا عَلی قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَما كُنّا مُنْزِلينَ*إِنْ كانَتْ إِلّاصَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ خامِدُونَ).(۱)

اتفق المفسرون علی أنّ الآيات نزلت فی رسل عيسی (عليه السلام) ، وقد نزلوا بأنطاكيا داعين أهلها إلی التوحيد وترك عبادة غيره سبحانه، فعارضهم من كان فيها بوجوه مذكورة فی نفس السورة.

فبينما كان القوم والرسل يتحاجون إذ جاء رجل من أقصی المدينة يدعوهم إلی اللّه سبحانه وقال لهم:

إتّبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الاَجر ولا يسألونكم أموالكم علی ما جاءوكم به من الهدی، وهم مهتدون إلی طريق الحقّ، سالكون سبيله، ثمّ أضاف قائلاً:

ومالی لا أعبد الذی فطرنی وأنشأنی وأنعم إلیّ وهدانی وإليه ترجعون عند البعث، فيجزيكم بكفركم أتأمروننی أن أتخذ آلهة من دون اللّه مع أنّهم لا يغنون شيئاً ولا يردون ضرراً عنی، ولا تنفعنی شفاعتهم شيئاً ولا ينقذوننی من الهلاك والضرر، وعندما مهَّد السبيل

---

۱ يس|۲۰ـ ۲۹.

(۱۰۹)

إلی إبطال مزاعم المشركين وبيان سخافة منطقهم، فعندئذٍ خاطب الناس أو الرسل بقوله: (انّی آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون) فسواء أكان

الخطاب للمشركين أو للرسل فإذا بالكفار قد هاجموه فرجموه حتى قتل.

ولكنّه سبحانه جزاه بالأمر بدخول الجنّة، بقوله: (قيلَ ادخُلِ الْجَنّةَ) ثمّ هو خاطب قومه الذين قتلوه، بقوله: (قالَ يا لَيْتَ قَومى يعلَمُون* بِما غَفَر لى رَبّى وَجَعَلَنى مِنَ الْمُكْرَمين) .

ثمّ إنّه سبحانه لم يمهل القاتلين طويلاً حتى أرسل جنداً من السماء لإهلاكهم، يقول سبحانه:(وَما أَنْزَلْنا عَلى قَومِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَما كُنّا مُنْزلينَ*إِنْ كانَتْ إِلاّ صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ خامِدُونَ) .

أى: كان اهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر، وهى صيحة واحدة حتى هلكوا بأجمعهم، فإذا هم خامدون ساكتون.

ودلالة الآية على بقاء النفس وإدراكها وشعورها وإرسالها الخطابات إلى من فى الحياة الدنيا من الوضوح بمكان، حيث كان دخول الجنّة: (قيل ادخُل الجَنّة) والتمنى (يا لَيتَ قَومى) كان قبل قيام الساعة، والمراد من الجنة هى الجنة البرزخية دون الأُخروية.

إلى هنا تمّ بيان بعض الآيات الدالة على بقاء أرواح الشهداء

(۱۱۰)

الذين بذلوا مهجهم فى سبيل اللّه.وثمة طائفة من الآيات تدل على بقاء أرواح الكفار بعد انتقالهم عن هذه الدنيا،مقترنة بألوان العذاب، وهناك طائفة أُخرى من الآيات تدل على بقاء الروح بعد رحيل الإنسان المؤمن والكافر من هذه الدار، ولنذكر هذه الآيات على وجه الإيجاز:

۱.(النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ أَشَدَّ الْعَذاب) .(۱)

تدل الآية بوضوح على أنّ آل فرعون يُعرضون على النار قبل قيام الساعة غدوّاً وعشيّاً، كما انّهم بعد قيامها يُدخلون أشدّ العذاب، فعذابهم قبل الساعة غير عذابهم بعدها، وهو دليل صريح على حياة تلك الطغمة.

۲. (مِمّا خَطيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَادْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِأَنْصاراً) .(۲)

تدل الآية على أنّ قوم نوح اغرقوا أوّلاً فادخلوا ناراً، ولم يجدوا لأنفسهم أنصاراً وليست هذه النار، نار يوم القيامة بشهادة انّه سبحانه يقول:(فادخلوا ناراً) وهو يدل على تحقق الدخول بلا فاصل زمنى بعد الغرق ولو أُريد نار يوم الساعة لكان الأنسب أن يقول«فيدخلون ناراً_____».

۱ ـ غافر|۴۶.

۲ ـ نوح|۲۵.

(۱۱۱)

۳. (حَتّى إِذاجاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ قالَرَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلّى أَعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْم يُبْعَثُون) .(۱)

إنّ الكافر حينما يواجه الموت يجد مستقبل حياته مظلماً وكأنّه يشاهد العذاب الأليم بأم عينه بعد موته فيتمنّى الرجوع إلى الحياة الدنيا، فيجاب بـ(كَلاّ) وما يشاهده ليس إلاّ عذاباً برزخياً لا عذاباً أُخروياً ولذلك يقول سبحانه (وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوم يُبْعَثُون) .

هذه الآيات وغيرها تعرب عن بقاء الحياة بعد الانتقال عن نشأة الدنيا، وإن أطلق الموت عليه فإنّما هو باعتبار انتهاء أمد حياته الدنيوية و اندثار بدنه وأمّا روحه ونفسه فهى باقية بنحو آخر تتنعم أو تعذّب. الصلة بين الحياتين: الدنيوية والبرزخية

ربما يمكن أن يقال: انّالآيات دلت على كون الشهداء والأولياء بل الكفار أحياء، ولكن لا دليل على وجود الصلة بين الحياتين وانّهم يسمعون كلامنا، وهذا هو الذى نطرحه فى المقام ونقول:

دلّ الذكر الحكيم على وجود الصلة بين الحياة الدنيوية والبرزخية بمعنى انّ الأحياء بالحياة البرزخية يسمعون كلامنا

_____

۱ المؤمنون|۹۹ـ ۱۰۰.

(۱۱۲)

ويشاهدون أفعالنا، وليسوا بمنقطعين تمام الانقطاع عن الحياة الدنيوية وإليك شواهد من الآيات:

۱. قال سبحانه: (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمينَ* فَتَولّى عَنْهُمْ وَقالَيا قَومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النّاصحينَ).(۱)

نزلت الآيات في قصة النبي صالح حيث دعا قومه إلى عبادة اللّه وترك التعرض لمعجزته (الناقة) وعدم مسّها بسوء، ولكنّهم بدل ذلك فقد عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربّهم فعمَّهم العذاب فأصبحوا في دارهم جاثمين، فعند ذلك عاد النبي صالح يخاطبهم وهم هلكى، بقوله: (فَتولى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النّاصِحينَ) .

وقد صدر الخطاب من النبي صالح (عليه السلام) بعد هلاكهم وموتهم، بشهادة قوله: (فتولّى عَنْهُم) في صدر الخطاب المصدرة بالفاء المشعرة بصدور الخطاب عقيب هلاك القوم.

فلو لم تكن هناك صلة بين الحياتين لما خاطبهم النبي صالح بهذا الخطاب.

۲. قال سبحانه: (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ

---

۱ الأعراف|۷۸ـ ۷۹.

(۱۱۳)

جاثِمينَ* الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوا فِيها الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرينَ* فَتَوَلّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسى عَلى قَومٍ كافِرينَ) .(۱)

وقد وردت هذه الآية في حقّ النبي شعيب (عليه السلام) ودلالة الآية كدلالة سابقتها، حيث يخاطب شعيبُ قومَه بعد هلاكهم، فلو كانت الصلة مفقودة ولم يكن الهالكون بسبب الرجفة سامعين لخطاب نبيهم، فما معنى خطابه لهم؟

۳. قال سبحانه: (وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ الِهَةً يُعْبَدُونَ).(۲)

ترى انّه سبحانه يأمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بسوَال الأنبياء الذين بعثوا قبله وأمّا مكان السوَال فلعلّه كان في ليلة الاسراء. السنة الشريفة والصلة بين الحياتين

ثمة روايات متضافرة بل متواترة تدل على وجود الصلة بين الحياتين، وجمع هذه الروايات بحاجة إلى تأليف كتاب مفرد.

ونكتفي هنا بالحديث المتفق عليه بين المسلمين وهو تكليم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أهل القليب_____.

۱ الأعراف|۹۱ـ ۹۳.

۲ ـ الزخرف|۴۵.

(۱۱۴)

لقد انتهت معركة بدر بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين قتل منهم قرابة سبعين من صناديدهم وساداتهم وطرحت جُثث قتلاهم في القليب، فوقف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطبهم واحداً تلو الآخر، ويقول: يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، يا أُميّة بن خلف، يا أباجهل، و هكذا عدَّ من كان منهم بالقليب، وقال: هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً فانّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً ؟!

فقال له أصحابه: يا رسول اللّه أتنادي قوماً موتى؟!

فقال (عليه السلام) : ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

يقول ابن هشام بعد هذا النقل: إنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم كذَّبتمونى وصدَّقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس.

ثمّ قال: هل وجدتم ما وعدكم ربّى حقّاً ؟!.(۱)

أخرج البخارى : عن نافع انّ ابن عمر أخبره، قال: اطّلع النبى (عليه السلام) على أهل القليب، فقال: وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟!

فقيل له: ندعوا أمواتاً، فقال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون.(۲_____)

۱ ـ السيرة النبوية :۱|۶۴۹؛ السيرة الحلبية:۲|۱۷۹و ۱۸۰.

۲ ـ صحيح البخارى: ۹|۹۸، باب ما جاء فى عذاب القبر من كتاب الجنائز.

(۱۱۵)

وأخيراً نقول: إنّجميع المسلمين ـ على الرغم من الخلافات المذهبية بينهم فى فروع الدين ـ يسلمون على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى الصلاة عند ختامها ويقولون:

«السّلام عليك أَيُّها النَّبىّ ورَحمة اللّه وبركاته».

وقد أفتى الإمام الشافعى وآخرون بوجوب هذا السلام بعد التشهد، وأفتى الآخرون باستحبابه، لكن الجميع متفقون على أنّ النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) علمهم السلام وانّ سنة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثابتة فى حياته وبعد وفاته.(۱)

فلو انقطعت صلتنا بالنبى(صلى الله عليه وآله وسلم) بوفاته، فما معنى مخاطبته والسلام عليه يومياً؟! سؤال و جواب

لو كانت الصلة بيننا وبين من فارقوا الحياة موجودة فما معنى قوله سبحانه: (فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوتى(۲)) وقوله سبحانه: (وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى القُبُور) .(۳)

والجواب : بملاحظة الآيات السابقة هو انّ المراد من الإسماع، الإسماع المفيد، ومن المعلوم انّسماع الموتى أو من فى

---

۱ ـ تذكرة الفقهاء:۳|۳۳۳، المسألة ۲۹۴؛ الخلاف:۱|۴۷.

۲ ـ الروم|۵۲.

۳ ـ فاطر|۲۲.

(۱۱۶)

القبور لا يجدى نفعاً بعدما ماتوا كافرين، وإلّا فهذا هو النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول: «الميت يسمع قرع النعال» فى حديث أخرجه البخارى عن أنس بن مالك عن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إنّ العبد إذا وضع فى قبره وتولّى عنه أصحابه حتى أنّه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيُقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول: أشهد انّه عبد اللّه ورسوله إلى آخر ما نقل.(۱)

وقد مرّ انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يزور القبور، و يخرج آخر الليل إلى البقيع، فيقول: السّلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غداً مأجلون وانّا إن شاء اللّه بكم لاحقون، اللّهمّ اغفر لأهل بقيع الغرقد.(۲)

اتّفق المسلمون على تعذيب الميت فى القبر، أخرج البخارى عن ابنة خالد بن سعيد بن العاص انّها سمعت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يتعوذ من عذاب القبر، وأخرج عن أبى هريرة كان رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو : اللّهمّ إنّى أعوذ بك من عذاب القبر و من عذاب النار.(۳)

كلّ ذلك يدل على أنّ المراد من نفى الاسماع هو الاسماع المفيد. تحقيقاً لقوله سبحانه: (حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ قالَ رَبِّ ارجِعُونِ* لَعَلّى أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ

۱ ـ البخارى:الصحيح: ۲|۹۰، باب الميت يسمع خفق النعال.

۲ ـ صحيح مسلم:۳|۶۳، باب ما يقال عند دخول القبور من كتاب الجنائز.

۳ ـ البخارى:الصحيح: ۲|۹۹، باب التعوذ من عذاب القبر من كتاب الصلاة.

(۱۱۷)

وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَومِ يُبْعَثُون)(۱) حيث إنّ الآيـة صـريحة فى ردّ دعوة الكفّار حيث طلبوا من اللّه سبحانه أن يُرجعهم إلى الدنيا حتى يعملوا صالحاً، فيأتيهم النـداء«بكلا» فيكون تمنيهم بلا جدوى ولا فائدة كما انّ سـماع الموتى كذلك، لا انّهم لا يسـمعون أبداً، إذ هو مخالف لما مرّ من صريح الآيات والروايات. هـ.طلب الشفاعة

اتّفقت الاُمّة الاِسـلامية على انّ الشـفاعة أصل من اُصول الاِسـلام نطق به الكتاب والسـنّة النبوية، وأحاديث العترة الطاهرة، ولم يخالف فى ذلك أحد من المسلمين وإن اختلفوا فى بعض خصوصياتها.

وأجمع العلماء على أنّ النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) أحد الشفعاء يوم القيامة، إلّا أنّ الكلام فى المقام فى طلب الشفاعة من النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) فهل يجوز أن نقول: يا رسول اللّه اشـفع لنا عند اللّه، كما يجوز أن نقول: اللّهمّ شفّع نبيّنا محمّداً(صلى الله عليه وآله وسلم) فينا يوم القيامة، أو لا يجوز؟ تظهر حقيقة الحال من خلال الوجوه التالية:

الوجه الاَوّل: انّ حقيقـة الشـفاعة ليست إلّا دعاء النبى «صـلى الله عليه وآله وسـلم» أو الولى (عليه السـلام) فى حقّ المذنب وإذا كانت هذه حقيقتَها فلا مانع من طلبها من الصالحين، لاَنّ غاية هذا

۱ المؤمنون|۹۹ـ ۱۰۰.

(۱۱۸)

الطلب هو طلب الـدعاء، فلو قال القائل: «يا وجيهاً عند اللّه اشـفع لنا عند اللّه» يكون معناه ادع لنا عند ربّك فهل يرتاب فى جواز ذلك مسلم؟

والدليل على أنّ الشـفاعة هو طلب الدعاء، ما أخرجه مسلم، عن عبد اللّهبن عباس، انّه قال: سمعت رسول اللّه يقول: ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشـركون باللّه شيئاً إلّا شفّعهم اللّه فيه.(۱) ى قُبل شفاعتهم فيه وليست شفاعتهم إلّا دعاوَهم له بالغفران.

وعلى هذا فلا وجه لمنع الاستشفاع بالصالحين إذا كان مآله إلى طلب الدعاء.

الوجه الثانى: انّ سيرة المسلمين تكشف عن جواز طلب الشفاعة فى عصر النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده.

أخرج الترمـذى فى سـننه عن أنس قال: سألت النبى«صـلى الله عليه وآله وسـلم» أن يشـفع لى يوم القيامـة، فقال: أنا فاعل، قال: قلت يا رسول اللّه فأين أطلبك؟ فقال: اطلبنى أوّل ما تطلبنى على الصراط.(۲)

نقل ابن هشام فى سيرته: انّه لما توفّى رسول اللّه«صلى الله عليه وآله وسلم» كشف أبو بكر عن وجهه و قبله، وقال: بأبى أنت و اُمّى أما الموتة التى كتب اللّه عليك فقد ذقتها، ثمّ لن تصيبك بعدها موتة أبداً.(۳_____)

۱ ـ صحيح مسلم:۳|۵۳، باب من صلّى عليه أربعون شفعوا فيه من كتاب الجنائز.

۲ ـ سنن الترمذى:۴|۶۲۱، كتاب صفة القيامة.

۳ ـ السيرة النبوية: ۲|۶۵۶، ط عام ۱۳۷۵هـ و هو يدل على وجود الصلة بين الاحياء والاَموات وقد جئنا به لتلك الغاية.

(۱۱۹)

وقال الرضى فى نهج البلاغة: لما فرغ أمير المؤمنين (عليه السلام) من تغسيل النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) قال كلاماً و فى آخره : بأبى أنت و أُمّى طبت حياً وطبت ميتاً أذكرنا عند ربّك.(۱)

انّ كلام الإمام يدلّ على عدم الفرق فى طلب الشفاعة من الشفيع فى حين حياته وبعد وفاته، وقد كان الصحابة يطلبون الدعاء من النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاته.

وتصور انّ طلب الشفاعة من الشفيع الواقعى شرك تصور خاطئ، فانّ المراد من الشرك فى المقام هو الشرك فى العبادة، وقد علمت انّمقومه هو الاعتقاد بأُلوهية المدعوّ أو ربوبيته أو كون مصير العبد بيده، وليس فى المقام من ذلك شىء.

إنّ طالب الشفاعة من الشفعاء الصالحين ـ الذين أذن اللّه لهم بالشفاعة ـ إنّما يعتبرهم عباداً للّه مقربين لديه، وجهاء فيطلب منهم الدعاء، وليس طلب الدعاء من الميت عبادة له، وإلّالزم كون طلبه من الحى عبادة لوحدة واقعية العمل.

وقياس طلب الشفاعة من النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) بطلب الوثنيين الشفاعةَ من الأَصنام قياس مع الفارق، لأَنّ المشركين كانوا على اعتقاد بأُلوهية معبوداتهم وربوبيتها، و أين هذا من طلب الموحد الذى لا يراه إلهاً ولا ربّاً ولامن بيده مصير حياته؟! وإنّما تعتبر الأَعمال بالنيات لا بالصور والظواهر_____.

۱ ـ نهج البلاغة: رقم الخطبة ۲۳.

۶–انتفاع الموتى بأعمال الأَحياء

۶–انتفاع الموتى بأعمال الأَحياء ينتفع الإنسان بالإيمان إذا انضمّ إليه العمل الصالح ولا ينفع إيمان تجرد عن العمل، ولأَجل ذلك قرن اللّه سبحانه العمل الصالح إلى جانب الإيمان فى أكثر الآيات، وقال: (إِلّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات) .(۱) فالاعتماد على الإيمان مجرداً عن العمل فعل الحَمْقى.

وهذا هو الإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) يؤكد فى خطبته على العمل، إذ يقول: «فَاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل».(۲)

ويقول فى خطبة أُخرى: «ألا وإنّ اليوم المضمار وغداً السباق و السَّبقَةُ الجنةُ والغايةُ النارُ، أفلا تائب من خطيئته قبل منيّته، ألا عامل لنفسه قبل يوم بوَسه».(۳) انتفاع الإنسان بعمله وعمل غيره

كما أنّ الإنسان ينتفع بعمل نفسه كصلاته و صومه كذلك ينتفع بعمل غيره إذا كان له دور فيه كما إذاخلَّف أعمالاً خيرية يستفيد منه الناس كصدقة جارية أجراها أو إذا ترك علماً ينتفع به أو

---

۱ ـ العصر|۳.

۲ ـ نهج البلاغة: الخطبة ۴۲.

۳ ـ نهج البلاغة: الخطبة ۲۷.

ربّى ولداً صالحاً يدعو له، فهو ينتفع بصدقاته وعلومه ودعاء ولده.

ونظيره الجسر الذى بناه، والنهر الذى أجراه، والمدرسة التى شيّدها، والطريق الذى عبّده، فقد ينتفع به لأَنّها أعمال قام بها بنفسه باقية بعد موته.

أخرج مسلم فى صحيحه انّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ،قال:« إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلّامن ثلاثة:إلّا من صدقة

جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».(۱)

وأخرج مسلم، عن جرير بن عبد اللّه، قال: قال رسول اللّه : من سنَّ فى الإسلام سنّة حسنةفعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أُجورهم شىء، ومن سنَّ فى الإسلام سنّة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شىء.(۲)

ففى هذا المورد ينتفع الميت بعد موته بعمل الغير لقيامه فى ترغيب ذلك الغير وتشويقه إلى فعله، فانّ من سنّ سنة حسنة كأنّه يدعو الغير بعمله هذا إلى الاقتداء به.

إنّما الكلام فيما إذا لم يكن للميت نصيب فى العمل، فهل يصل ثواب عمل الغير إليه إذا أهدى صاحب العمل ثوابه إليه ؟

---

۱ ـ صحيح مسلم:۵|۷۳، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت من كتاب الهبات.

۲ ـ صحيح مسلم:۸|۶۱، باب «من سنّ سنة حسنة أو سيئة» من كتاب العلم.

فالظاهر من الكتاب والسنّة انّه سبحانه بعميم فضله وواسع جوده يوصل ثواب عمل الغير إلى الميت فيما إذا قام الغير بعمل صالح نيابة عنه وبعث ثوابه إليه، ويدل عليه لفيف من الآيات والروايات. ۱. استغفار الملائكة للمؤمنين

قال تعالى: (الَّذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرشَ وَمَنْحَولَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذينَ آمَنُوا رَبّنا وَسِعتَ كُلَّشَىْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحيم).(۱)

وقال تعالى:

(تَكادُ السَّماواتُيَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الأَرْضِ أَلا إِنّ اللّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيم) .(۲) ۲. دعاء المؤمنين للسابقين إلى الإيمان

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا وَلإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإِيمان وَلا تَجْعَلْ فى قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحيمٌ).(۳)

فلو لم يكن لاستغفار الملائكة ودعاء المؤمنين للتابعين سبيل

---

۱ ـ المؤمن|۷.

۲ ـ الشورى|۵.

۳ ـ الحشر|۱۰.

اللّه مفيداً، فما معنى نقله سبحانه عنهم كما عرفت.

وأمّا الروايات فحدّث عنها ولا حرج.

۱.أخرج مسلم، عن عائشة انّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من مات وعليه صيام صام عنه وليه.(۱)

۲. وأخرج أيضاً عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا رسول اللّه انّ أُمّى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضى عنها، قال: نعم، فدين اللّه أحقّ أن يقضى.(۲)

۳. روى سعد بن عبادة، انّه قال لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنّ أُمّى ماتت و عليها نذر أفيجزى عنها أن أعتق عنها، قال: اعتق عن أُمّك.(۳)

۴. روى أبو هريرة، انّرجلاً قال للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنّ أبى مات وترك مالاً ولم يوص، فهل يكفر عنه ان أتصدق عنه؟ قال: نعم.(۴)

۵. روى سعد بن عبادة، انّه قال: يا رسول اللّه، إنّ أُمّ سعد ماتت، فأى الصّدقة أفضل؟ قال: الماء. قال: فحفر بئراً، وقال: هذه لاُمّ سعد.(۵_____)

۱ ـ صحيح مسلم:۳|۱۵۵ـ ۱۵۶، باب قضاء الصيام عن الميت، وفى هذا الباب روايات تركنا ذكرها للاختصار.

۲ ـ صحيح مسلم:۳|۱۵۵ـ ۱۵۶، باب قضاء الصيام عن الميت، وفى هذا الباب روايات تركنا ذكرها للاختصار.

۳ ـ سنن النسائى:۶|۲۵۳، باب فضل الصدقة على الميت.

۴ ـ صحيح مسلم:۵|۷۳، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت من كتاب الهبات.

۵ ـ سنن أبى داود:۲|۱۳۰ برقم ۱۶۸۱، باب «فى فضل سقى الماء».

(۱۲۴)

واللام فى قوله : هذه لاُمّ سعد هى لام الاختصاص، نظير قوله سبحانه: (إِنَّما الصَّدقات لِلْفُقَراء) (۱) هى دالة على الجهة التى تصرف فيها الصدقة، وليست من قبيل اللام الداخلة على لفظ الجلالة فى قولنا : نذرت للّه، فانّ اللام هناك للتقرب وفى المقام لبيان المحل.

وقد اقتصرنا بالقليل من الكثير فمن أراد الوقوف على مصادر الروايات فليرجع إلى المصدر أدناه.(۲)

وعلى ذلك سارت المذاهب الفقهية الاَربعة حيث يفتون بانتفاع الميت بعمل الحى حتى إذا لم يوص به ولم يكن له فى السعى نصيب.

فهذه الروايات والفتاوى تثبت ضابطة كلية وهى وصول ثواب كلّ عمل قربى إلى الميت إذا أُوتى به نيابة عنه سواء أكان من قبيل الصوم والحج أو غيرهما.

وعلى هذا يعلم صحّة عمل المسلمين حيث يقومون بأعمال حسنة صالحة ربما أهدوا ثوابها إلى أحبائهم وأعزتهم الموتى وهو أمر يوافق عليه الكتاب والسنة، فما يقوم به المسلمون لموتاهم من إهداء ثواب الاَعمال الصالحة لهم، أو ما يفعلونه عند قبور الاَنبياء والاَولياء من إطعام الطعام وتسبيل الماء بنية أن يصل ثوابها إليهم إنّما

---

۱ ـ التوبة|۶۰.

۲ ـ لاحظ للوقوف على مصادر هذه الروايات: صحيح مسلم:۵|۷۳ـ ۷۸، كتاب النذر؛ سنن النسائى:۶|۲۵۱ فضل الصدقة على الميت.

(۱۲۵)

يقتدون فيها بسعد بن عبادة الذى سأل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حكم الصدقة عن أُمّه أينفعها؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : نعم، فقال فأىّ الصدقة أفضل؟ قال: الماء فحفر بئراً،وقال: هذه لاُمّ سعد.

فهم فى هذا سعديون لا يريدون عبادة الموتى، بل يريدون إيصال الثواب إليهم كما فعل سعد. النذر لاَهل القبور

النذر عبارة عن إلزام الاِنسان نفسه بالقيام بأداء عمل إذا قضيت حاجته كأن يقول: للّه علىَّ أن أختم القرآن إذا نجحت فى الامتحان، هذا هو النذر الشرعى ويعتبر أن يكون النذر للّه سبحانه ولا يجوز لغيره .

وربما يلتزم فى ضمن النذر إهداء ثواب عمله إلى المقربين له كالاَب والاُمّ أو الاَنبياء والاَولياء، فيقول: نذرت للّه أن أختم القرآن واهدى ثوابه لفلان. واللام الداخلة على لفظ الجلالة غير اللام الداخلة على لفظة «فلان»فاللام الاُولى للغاية أى لغاية التقرب إلى اللّه سبحانه، واللام الثانية لبيان موضع الانتفاع.

هذا هو المتعارف بين المسلمين ينذرون عملاً للّه ثمّ يلتزمون بإهداء ثوابه لاَحد أولياء اللّه وعباده الصالحين.

وربما يختصرون فى العبارة ويقولون : هذه ـ الشاة ـ منذورة

(۱۲۶)

للنبى(صلى الله عليه وآله وسلم) ، والمراد هو جهة انتفاعه، والقرآن الكريم مشحون بكلا الاستعمالين .

قال سبحانه حاكياً عن امرأة عمران: (رَبِّ إِنّى نَذَرْتُ لَكَ ما فِى بَطْنى مُحَرَّرَاً) (۱) فاللام فى هذه الآية نظير قولنا: «صليت للّه ونذرت للّه».

وقال سبحانه: (إِنَّما الصَّدقاتُ لِلْفُقَراءِوَالْمَساكينِ) (۲) واللام للفقراء بمعنى الانتفاع،نظير قولنا عند الاختصار: هذا للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أو للإمام (عليه السلام) وقد مضى انّسعدَ بن عبادة لما حفر بئراً قال: هذه لاُمّ سعد.

وبذلك ظهر انّه لا مانع من النذر للاَولياء والصالحين، على ما عرفت من تفسيره.

ولاَجل إيضاح الحال نأتى بكلام بعض المفكرين وعلماء الإسلام.

يقول الخالدى: إنّ المسألة تدور مدار نيّات الناذرين ، وإنّما الاَعمال بالنيّات فإن كان قصد الناذر الميت نفسه والتقرّب إليه بذلك لم يجز، قولاً واحداً، وإن كان قصده وجه اللّه تعالى وانتفاع الاَحياء ـ بوجه من الوجوه ـ به وثوابه لذلك المنذور له سواء عين وجهاً من

---

۱ ـ آل عمران|۳۵.

۲ ـ التوبة|۶۰.

(۱۲۷)

وجوه الانتفاع أو أطلق القول فيه، وكان هناك ما يطرد الصرف فيه فى عرف الناس أو أقرباء الميت، أو نحو ذلك ـ ففى هذه الصورة يجب الوفاء بالنذور.(۱)

وقال العزامى فى كتاب «فرقان القرآن» :«... ومن استخبر حال من يفعل ذلك من المسلمين، وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للاَموات ـ من الاَنبياء والاَولياء ـ إلّاالصدقة عنهم و جعل ثوابها إليهم، وقد علموا أنّ إجماع أهل السنّة منعقد على أنّ صدقة الاَحياء نافعة للاَموات واصلة إليهم، والاَحاديث فى ذلك صحيحة مشهورة.(۲)

أخرج أبو داود عن ميمونة انّأباها قال لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) :

يا رسول اللّه انّى نذرت إن وُلد لى ذكر أن أنحر على رأس «بُوانة» فى عقبة من الثنايا ، عدّة من الغنم.

قال الراوى عنها: لا أعلم إلّا أنّها قالت: خمسين.

فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) : هل من الاَوثان شىء؟

قال: لا.

قال: أوف بما نذرت به للّه.(۳)

تجد انّالنبى(صلى الله عليه وآله وسلم) يؤكّد السوَال عن

---

۱ ـ صلح الاخوان: للخالدى: ۱۰۲ ومابعده.

۲ ـ فرقان القرآن: ۱۳۳.

۳ ـ سنن أبى داود:۲|۸۱.

(۱۲۸)

وجود الاَصنام فى المكان الذى تذبح فيه الذبائح انّهذا دليل على أنّ النذر الحرام هو النذر للاَصنام حيث جرت عادة أهل الجاهلية

على ذلك كما قال تعالى : (...وَما ذبح عَلى النُّصُبِ... ذلِكَمْ فِسْق) .(۱)

وكلّ من وقف على أحوال الزائرين للعتبات المقدسة ومراقد أولياء اللّه الصالحين يجد انّهم ينذرون للّه تعالى ولرضاه، ويذبحون الذبائح باسمه عزّ وجلّ بهدف انتفاع صاحب القبر بثوابها وانتفاع الفقراء بلحومها_____.

۱ ـ المائدة|۳.

(۱۲۹)

۷-التبرک بآثار الأنبياء والصالحين

۷-التبرک بآثار الأنبياء والصالحين جرت سنة اللّه الحكيمة على إجراء فيضه إلى الناس عن طريق الأسباب العادية، كما هو المشاهد لكلّ واحد منّا إلاّ انّه سبحانه ربما يُجرى فيضه عن طريق علل غير مألوفة أو خارقة للعادة لغايات مختلفة، فتارة تكون الغاية هى الاعجاز واثبات النبوة وأُخرى تكون هى اجلال الشخص وتكريمه.

أمّا الأول، فكالمعاجز التى يأتى بها الأنبياء بإذن اللّه سبحانه فى مقام الدعوة والتحدّى، والقرآن يعجّ بهذا النوع من المعجزات.

وأمّا الثانى: فنذكر منه نموذجين:

قال سبحانه: (كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِساب) .(۱)

وقال سبحانه: (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيكِ رُطَباً جَنِيّاً) .(۲_____)

۱ ـ آل عمران|۳۷.

۲ ـ مريم|۲۵.

(۱۳۰)

وما ورد فى هذه الآيات من ظهور فيضه سبحانه على خاصة أوليائه إنّما هو من باب الكرامة لا الإعجاز، فلم تكن مريم (عليها السلام) مدعية للنبوة حتى تتحدى بهذه الكرامة، بل كان تفضّلاً من اللّه سبحانه عليها فى فترات متلاحقة.

ويقرب مما ذكرنا قوله سبحانه: (اذْهَبُوا بِقَمِيصى هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبى يَأْتِ بَصيراً... *فَلَمّا أَنْ جاءَ البَشيرُ أَلْقيهُ عَلى وَجْهِهِ فَارتَدَّ بَصيراً).(۱)

وممّا لا شكّ فيه انّ يوسف لم يكن مدعياً للنبوة أمام إخوته حتى يتحدّى بهذه الكرامة، وإنّما كان تفضّلاً من اللّه عن هذا الطريق لإعادة بصر أبيه يعقوب.

هذه الآيات توقفنا على أنّه سبحانه: يُجرى فيضه على عباده عن طريقين فتارة عن طريق الأسباب العادية، وأُخرى عن طريق أسباب غير عادية.

وأمّا تأثير تلكم الأسباب غير العادية كالأسباب العادية فكلّها بإذن اللّه سبحانه.

وعلى ضوء ذلك كان المسلمون يتبرّكون بآثار رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يتبركون بشعره وبفضل وضوئه وثيابه وآنيته ومسّ جسده الشريف، إلى غير ذلك من آثاره الشريفة

---

۱ ـ يوسف|۹۳ـ۹۶.

(۱۳۱)

التى رواها الأخيار عن الأخيار.

فصارالتبرك بها سنة الصحابة واقتدى آثارهم من نهج نهجهم من التابعين والصالحين.

قال ابن هشام فى الفصل الذى عقده لصلح الحديبية: إنّ قريشاً بعثت عروة بن مسعود الثقفى إلى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس بين يديه وبعد ما وقف على نية الرسول من خروجه إلى مكة رجع إلى قومه وأخبرهم بما دار بينه و بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثمّ قال: إنّمحمّداً لا يتوضأ إلّا وابتدر أصحابه بماء وضوئه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه، ثمّ قال: يا معشر قريش لقد رأيت كسرى فى ملكه، وقيصر فى ملكه، والنجاشى فى ملكه، وانّى واللّه ما رأيت ملكاً فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً فَرَوْا رأيكم.(۱)

وقد ألف غير واحد من علماء الاِسلام ما قام به الصحابة من التبرك بآثار النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) نذكر عناوينها :

التبرك بتحنيك الاَطفال.

التبرك بالمسح والمس.

التبرك بفضل وضوئه وغسله.

التبرك بسوَر شرابه وطعامه_____.

۱ ـ السيرة النبوية: ابن هشام: ۲|۳۱۴، صلح الحديبية.

إنّ تبرك الصحابة لم يقتصر على ذلك بل كانوا يتبركون بماء أدخل فيه يده المباركة، وبماء من الآنية التى شرب منها، وبشعره، وعرقه، وظفره، والقدح الذى شرب منه، وموضع فمه، ومنبره، والدنانير التى أعطاها، وقبره وجرت عادتهم على التبرك به، ووضع الخد عليه والبكاء عنده.

وقد ألف المحقّق العلاّمة محمد طاهر بن عبد القادر كتاباً باسم «تبرك الصحابة»، وهو من علماء مكة المكرمة قال فيه : أجمعت صحابة النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) على التبرك بآثار رسول اللّه والاهتمام فى جمعها وهم الهداة المهديون والقدوة الصالحون فيتبركون بشعره وبفضل وضوئه وعرقه وثيابه وآنيته وبمسِّ جسده الشريف، وبغير ذلك ممّا عرف من آثاره الشريفة التى صحت به الاَخبار عن الاَخيار.

وقد وقع التبرك ببعض آثاره فى عهده وأقرّه ولم ينكر عليه،فدلَّ ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً لنهى عنه وحذّر منه.

وكما تدل الاَخبار الصحيحة وإجماع الصحابة على مشروعيته تدل على قوة إيمان المتبركين وشدّة محبتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول الاَعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) كقول الشاعر:

أمرّ على الديار ديار ليليأقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبيولكن حبّ من سكن الديارا(۱)

---

۱ ـ تبرك الصحابة:۵۰.

۸- البدعة والاحتفال بميلاد النبى (صلى الله عليه

۸- البدعة والاحتفال بميلاد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) البدعة فى اللغة بمعنى الانشاء والابداع، وأمّا فى مصطلح الفقهاء هو إدخال ما ليس من الدين فى الدين، وعدُّ ما ليس من الدين منه، وقد أطبق المسلمون على تحريمه لِاطباق الاَدلة عليه وإلى المعنى

المصطلح يشير صاحب القاموس، ويقول: البدعة: الحدث فى الدين بعد الإِكمال أو ما استحدث فى الدين بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأَهواء.

فالمعنى الجامع للبدعة هو الافتراء على اللّه ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ،ونشر الافتراء بعنوان انّه من الدين، قال سبحانه: (ءآللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ) (۱) فالآية تدل على أنّ كلّ ما ينسب إلى اللّه سبحانه بلا إذن منه فهو أمر محرم، ومن أدخل فى الدين ما ليس من الدين أو لا يعلم انّه منه، فقد افترى على اللّه.

وقد عُدَّ المفترى على اللّه من أظلم الناس، قال سبحانه: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ).(۲)

هذا، ودلت السنة أيضاً على حرمة البدعة، قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم_____) :

۱ ـ يونس|۵۹.

۲ ـ الأَنعام|۲۱.

(۱۳۴)

أمّا بعد، فانّ أصدق الحديث كتاب اللّه، وأفضل الهدى هدى محمّد، وشرّ الأُمور محدثاتها، وكلّمحدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة فى النار.

وقد أوضحه ابن حجر العسقلانى بقوله: المحدثات جمع محدثة، والمراد بها ما أحدث وليس له أصل فى الشرع، ويسمى فى عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة، فالبدعة فى عرف الشرع مذمومة.(۱)

والروايات فى تحريم البدعة كثيرة اكتفينا بما سبق، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المصدر المذكور فى الهامش.(۲)

فإذا كانت البدعة هى الافتراء على اللّه ورسوله والتلاعب بدينه، وادخال ما ليس من الدين، أو ما لم يُعلم انّه من الدين فى الدين، فعلى الباحث المتضلِّع تمييز ما ليس ببدعة عن البدعة وان اشتركا فى إطلاق تسمية «البدعة » عليهما، وإليك أقسامها:

الأَوّل :أن يقوم به الإِنسان بما انّه من الدين، وهو إمّا ليس من الدين قطعاً أو يشك انّه من الدين و مع ذلك يدخله فيه وينشره بين الأُمّة.

وعلى هذا فلو قام أحد بعمل بديع ليس له مثيل، ولكن من

_____

۱ ـ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى:۱۳|۲۵۳.

۲ ـ جامع الأُصول لابن الأَثير:۹|۵۶۶.

(۱۳۵)

دون أن ينسبه إلى الدين فهو ليس ببدعة، كالصنائع الجديدة، والأَلعاب الرياضية، التى ابتدعها الإِنسان لتوفير الراحة لنفسه إلى غير ذلك من الفوائد المترتبة عليها.

فهذه الصنائع والأَلعاب لم تكن فى عصر الرسول ولا الصحابة ولا التابعين ولكن الإِنسان أبدعها وانشأها دون أن يعزوها إلى الدين، فإذاً لا تكون بدعة.

نعم مجرد انّها ليست بدعة لا يكون دليلاً على حلّيتها بل يستنبط حكمها من جهة الحلية والحرمة من الكتاب والسنة والإِجماع والعقل.

فالصنائع والأَلعاب الرياضية من المحدثات ولكنّهما حلالان شرعاً لعدم انطباق عنوان محرم عليهما، بخلاف بعض المحدثات كاختلاط النساء والرجال فى الحفلات، فهو أمر محدث مُحرّم، لانطباق عنوان محرم عليه وهو اختلاط الرجال بالنساء السافرات.

الثانى: ما يبدعه الإِنسان وينشئه وليس له نظير فى السابق، ولكن يأتى به باسم الدين وله أصل كلى فى الشريعة وإن لم ترد الخصوصية

فيها. فهذا ما يسمّى بدعة لغة ولا يكون بدعة شرعاً.

أمّا كونه بدعة لغة فلكونه أمراً جديداً وإنشاءً حديثاً فى الدين، وامّا انّه ليس ببدعة شرعاً، لوجود أصل كلّى له فيها مسوغ له، وإليك الاَمثلة التالية:

أ. انّالدفاع عن بيضة الاِسلام وصيانة حدوده من الاَعداء أصل

(۱۳۶)

ثابت فى القرآن الكريم، قال سبحانه: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (۱) وهذا هو الاَصل الثابت فى الاِسلام، وأمّا كيفية الدفاع فلم يرد فيها دليل خاص، بل أوكله الشارع إلى مقتضيات الزمان فالتزوّد بالاَسلحة الحديثة كالسفن الحربية والطائرات المقاتلة إلى غير ذلك من وسائل الدفاع ليس بدعة، بل تجسيد للاَصل الثابت فى الشرع أعنى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)،فهذا النوع من التسليح ورد فى الشرع أصله وإن لم يرد بخصوصياته.

ب. حثّ الاِسلام على الاِحسان إلى اليتامى والمساكين والرأفة بهم والعطف عليهم وحفظ أموالهم بيد انّ هذا الاَمر الكلى الذى جاء فى الشرع له أساليب مختلفة تُجارى مقتضيات كلّعصر ومصر وإمكانياتهم المتاحة، فاللازم امتثال ما ندب إليه الشرع، أعنى: الاَصل الكلى، وأمّا تبيين كيفيته فمتروك إلى المستجدات الزمانية.

ج. ندب الشرع المقدس إلى التربية والتعليم ومكافحة الاُمّية ولا شكّ انّ لهذا الاَمر الكلى أشكالاً وألواناً مختلفة تتبدل حسب تبدل الظروف حيث كانت التربية والتعليم فى العصور السابقة تتحقق من خلال الكتابة بالقصب والدواة، وجلوس المتعلم للاستماع إلى معلّمه، إلّاانّ ذلك تطور اليوم إلى أساليب جديدة تستخدم فيها الاَجهزة المتطورة كالاذاعة والتلفزة والكومبيوتر

---

۱ ـ الاَنفال | ۶۰.

(۱۳۷)

والاشرطة إلى غيرها من وسائل التعليم الحديثة.

إنّ الشارع المقدس لا يخالف هذا التطور ولا يمنع من استخدام الاَجهزة والاَساليب الحديثة، وإنّما أمر بالتعليم والتعلم، وترك اتخاذ الاَساليب إلى الظروف والمقتضيات.

ولو كان أصرّ على اتخاذ كيفية خاصة، لفشل فى هدفه المقدس ولفقد مبرّرات خلوده واستمراره، لاَنّ الظروف ربما لا تناسب الاَداة الخاصة التى يقترحها والكيفية الخاصة التى يحددها.

۳. ما إذا قام به إنسان باسم الدين وكان أمراً حديثاً ليس له مثيل فى السابق ولم يكن له أصل كلى يعضده ويسوغه ويضفى عليه الشرعية.

فهذه هى البدعة المصطلحة المحرمة على الاِطلاق، فمن حاول تغيير الاَذان والاِقامة بتنقيص أو زيادة أو زاد فى الصلاة أو نقص منها ونسب كلّ ذلك إلى الشرع فهو بدعة محرمة.

وبالجملة من أراد التدخل فى الشريعة الاِسلامية فى عباداتها ومعاملاتها وسياساتها بأن ينسب إليها ما ليس منها أو لم يعلم انّه منها فقد أبدع وافترى على اللّه الكذب. الاحتفال بمواليد الاَنبياء والاَئمّة والصالحين

وممّا ذكرنا يعلم حكم الاحتفال بمواليد الاَنبياء والاَئمّة

(۱۳۸)

والصالحين الذين لهج الكتاب والسنة بمدحهم، فانّ الاحتفال على النحو الرائج لم يرد فى الشرع بخصوصه ولكن ورد الاَصل الكلى الذى يسوّغ هذا الاحتفال ويضفى عليه الشرعية .

فقد أمر الكتاب والسنة بحب النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» ووده أوّلاً و تكريمه وتوقيره ثانياً، وحثّ عليهما فى الشريعة قال سبحانه: (قُلْإِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأَموالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَونَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فى سَبيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّى يَأْتِىَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لا يَهْدِى الْقَومَ الْفاسِقينَ) .(۱)

۱.وقال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) : لا يوَمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين.(۲)

۲. قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) : والذى نفسى بيده لا يوَمن أحدكم حتى أكون أحبَّ الناس إليه من والده وولده.(۳)

۳. قال رسول اللّه ص: ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون اللّه ورسوله أحبَّ إليه ممّا سواهما وأن يحب فى اللّه، ويبغض فى اللّه، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحبّ إليه من أن يشرك باللّه شيئاً.(۴)

---

۱ ـ التوبة|۲۴.

۲ ـ جامع الأُصول: ۱|۲۳۷ ـ ۲۳۸ برقم ۲۰ و ۲۱ و ۲۲.

۳ ـ جامع الأُصول: ۱|۲۳۷ ـ ۲۳۸ برقم ۲۰ و ۲۱ و ۲۲.

۴ ـ جامع الأُصول: ۱|۲۳۷ ـ ۲۳۸ برقم ۲۰ و ۲۱ و ۲۲.

(۱۳۹)

وعلى ضوء ذلك فاقامة الاحتفالات والمهرجانات فى مواليدهم والقاء الخطب والقصائد فى مدحهم وذكر منزلتهم فى الكتاب والسنة تجسيد للحبِّ الذى أمر اللّه ورسوله به، شريطة أن لا ـ تقترن تلك الاحتفالات بالحرام، ومن دعا إلى الاحتفال بمولد النبيص فى أىّ قرن من القرون فقد انطلق من هذا المبدأ أى حبّ النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) الذى أمر به القرآن والسنة .

هذا هو مؤلف «تاريخ الخميس» يقول فى هذا الصدد: لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات، ويُظهرون السرور ويزيدون فى المبرّات ويعتنون بقراءة مولده الشريف ويظهر عليهم من كراماته كلّفضل عظيم.(۱)

وقال القسطلانى: ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ص يعملون الولائم، ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كلّ فضل عميم... فرحم اللّه امرءٍ اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشد علّة على من فى قلبه مرض وأعياه داء.(۲)

---

۱ ـ تاريخ الخميس:۱|۳۲۳ للديار بكرى.

۲ ـ المواهب اللدنية:۱|۲۷.

۱۰ – الحلف على اللّه بحقّ الأولياء

۱۰ – الحلف على اللّه بحقّ الأولياء إنّ القرآن الكريم يصف بعضَ عبادِ اللّه، بقوله:

(الصّابِرينَ وَالصّادِقينَ وَالقانِتينَ وَالمُنْفِقينَ وَالمُسْتَغْفِرينَ بِالأَسْحار) .(۱)

فلو أنّ أحداً قام فى آناء الليل وصلّى ناشئته ثمّ ابتهل إلى اللّه متضرعاً، و قال: «اللّهمّ إنّى أسألُكَ بِحقِّ الْمُستَغْفِرينَ بالأسحار اغفر لى ذنبى» فهل يجوز ذلك أو لا ؟

يمكن استكشاف الحكم من الأحاديث المروية عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمّة الأطهار.

۱. قد أخرج الترمذى وابن ماجة والإمام أحمد عن عثمان بن حنيف: انّ رجلاً ضريراً أتى النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: أُدعو اللّه أن يعافينى، ثمّ نقلوا أنّ النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) أمره أن يتوضّأ ويُحسن وضوءه ويصلّى ركعتين ويدعوا بهذا الدعاء:

«اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبيّالرحمة، يا محمّد إنّى

---

۱ ـ آل عمران|۱۷.

(۱۵۱)

أتوجه بك إلى ربّى فى حاجتى لتُقضى اللّهمّ شفّعه فى».(۱)

۲. وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الدعاء التالى: «اللّهمّ إنّى أسألك بحقّ السائلين عليك وأسألك بحقّممشاى هذا».(۲)

۳. أخرج البيهقى عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول اللّه : (صلى الله عليه وآله وسلم)لما اقترف آدم الخطيئة رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحقّ محمّد الا غفرت لى.(۳)

۴. أخرج الحاكم فى مستدركه، و الطبرانى فى معجمه الاَوسط، وأبو نعيم فى حليـة الاَولياء، عن أنس بن مالك، انّه لما ماتت فاطمة بنت أسد، حفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد، حفره رسول اللّه بيده ، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ، دخل رسول اللّه فاضطجع فيه، وقال: اللّه الذى يحيى و يميت،وهو حىّ لا يموت، اغفر لاُمّى فاطمة بنت أسد، ولقِّنها حجَّتها ووسِّع عليها مَدْخَلها بحقّ نبيّك والاَنبياء الذين من قبلى فانّك أرحم الرحمين.(۴)

---

۱ ـ صحيح الترمذى۵، كتاب الدعوات، الباب ۱۱۹ برقم ۳۵۷۸ ؛سنن ابن ماجه:۱|۴۴۱ برقم ۱۳۸۵؛ مسند أحمد:۴|۱۳۸، إلى غير ذلك من المصادر، وقد مرّ فى مبحث التوسل.

۲ ـ سنن ابن ماجة: ۱|۲۵۶ برقم ۷۷۸، باب المساجد؛ مسند أحمد:۳|۲۱.

۳ ـ البيهقى: دلائل النبوة: ۵|۴۸۹.

۴ ـ الحاكم : المستدرك: ۳|۱۰۸؛ الطبرانى، المعجم الاَوسط: ۳۵۶؛ حلية الاَولياء: ۳|۱۲۱.

(۱۵۲)

إنّ هذه الاَدعية وإن خلت من لفظ القسم بعينه إلاّ ـ انّها تضمنت معنى القسم لوجود باء القسم فيها فكأنّما يقول: اللّهمّ إنّى أسألك بحقّالسائلين عليك أى أُقسمك بحقّهم.

وقد ورد الحلف على اللّه بحقّ الاَولياء فى غير واحد من أدعية أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)الذين هم أعدال الكتاب وقرناوَه بنصّ النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: «إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتى».(۱) يقول الاِمام الطاهر الحسين بن على (عليهما السلام) فى دعاء يوم عرفة و هو يناجى ربّه: «بحقّ من انتخبت من خلقك، و بِمَن اصطفَيتَه لنفسك، بِحقٍّ من اخترتَ من بريّتك، ومن اجتبيتَ لشأنك، بحقٍّ من وصلتَ طاعتَه بطاعتك، وبحقّ من نيَّطت معاداته بمعاداتك.(۲)

لما زار الاِمام الصادق (عليه السلام) مرقد جدّه الاِمام أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا فى ختام الزيارة بقوله: اللّهمّ استجب دعائى، واقبل ثنائى، وأجمع بينى وبين أوليائى، بحقٍّ محمّد وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين».(۳)

وهذه الاَدعية عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) تدلّ على جواز الحلف على اللّه بحقّ أوليائه الصالحين_____.

۱ ـ حديث متواتر عن كلا الفريقين.

۲ ـ ابن طاووس: الاقبال: ۳۰۹.

۳ ـ الطوسى: مصباح المتهجد: ۶۸۲.

(۱۵۳) سوَال وإجابة

ربمايقال: انّ المسألة بحقّ المخلوقين غير جائز لأنّه لا حقّللمخلوق على الخالق.

والجواب أوّلاً: انّهذا اجتهاد فى مقابل النص الصريح، إذ لو لم يكن للمخلوق حقّ فى ذمة الخالق، فلماذا أقسم النبى آدم «عليه السلام» والنبى محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) على اللّه بالحقوق، الواردة فى الروايات؟

وثانياً: انّه سبحانه يُثبت لعباد اللّه الصالحين حقوقاً فى ذمته، ويقول: (وَكانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ)(۱)، (وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فى التَّوارةِ وَالإِنْجيل)(۲) (كَذلِكَ حَقّاً عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنينَ) :(۳) (إِنّما التَّوبَةُ عَلى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ) .(۴)

وثمة مجموعة من الروايات تشير إلى وجود الحقّ للمخلوق فى ذمة الخالق، وإليك نماذج منها:

۱. «حقّعلى اللّه عون من نكح التماس العفاف ممّا حرم اللّه».(۵)

۲. قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) : «ثلاثة حقّ

---

۱ ـ الروم|۴۷.

۲ ـ التوبة|۱۱۱.

۳ ـ يونس|۱۰۳.

۴ ـ النساء|۱۷.

۵ ـ الجامع الصغير للسيوطى:۲|۳۳.

على اللّه عونُهم: الغازى فى سبيل اللّه، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريدالتعفف».(۱)

۳. «أتدرى ما حقّالعباد على اللّه».(۲)

نعم من الواضح انّه ليس لأحد بذاته حقّ على اللّه تعالى، حتى لو عبد اللّه قروناً طويلة، لأنّ كلّما للعبد من حول و قوة، ونعمة فهو للّه تعالى فلم يُبذل العبد شيئاً من نفسه فى سبيل اللّهحتى يستحق بذاته الثواب.

فإذاً فما معنى الحقّ؟

والجواب: انّالمقصود من الحقّ فى هذه الأدعية أو الأحاديث هو المنزلة التى يمنحها اللّه لعباده مقابل طاعتهم وانقيادهم ، لكن بتفضّل وعناية منه، لا بإستحقاق من العبد، فالحقّ الذى يُقسَم به على اللّه حق، جعله اللّه على ذمته لا انّالعبد استحق حقاً على اللّه، ونظير هذا استقراضه سبحانه من عبده، يقوله: (مَنْ ذَا الَّذى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً) .(۳)

إنّهذا التعبير نابع من لطفه سبحانه وعنايته الفائقة بعباده الصالحين حتى يعتبر ذاته المقدسة مديوناً لعباده، وعبادَه دُيّاناً أصحاب الحق، ففى هذا الأمر من الترغيب والتشجيع إلى طاعة اللّه ما لا يخفى_____.

۱ ـ سنن ابن ماجة:۲|۸۴۱.

۲ ـ النهاية لابن الأثير: مادة حق.

۳ ـ البقرة|۲۴۵.

۱۱ – الحلف بغير اللّه

۱۱ – الحلف بغير اللّه هل يجوز الحلف بغير اللّه سبحانه كالحلف بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و القرآن والكعبة وغيرها من المقدسات أو لا ؟

عندما نستنطق القرآن فى ذلك، نرى انّه سبحانه حلف فى سورة الشمس وحدها بثمانية أشياء من مخلوقاته هى: الشمس، ضحاها، القمر، النهار، الليل، السماء، الأرض، والنفس الإنسانية.(١)

وكذلك ورد الحلف بغير اللّه فى سورة النازعات والمرسلات والطارق والقلم والعصر والبلد وإليك نماذج من الحلف بالمخلوق فى غير تلك السور.

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُون* وَطُورِسِينينَ* وَهذا البَلَدِالأَمين) .(٢)

(وَاللَّيلِ إِذا يَغْشى*وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّى) .(٣)

(وَالْفَجْرِ* وَلَيالٍ عَشْرٍ*والشَّفعِ وَالوَتْر*واللَّيلِ إِذا يَسْر).(۴)

---

١ ـ الشمس | ١ـ٧.

٢ ـ التين | ١ـ٣.

٣ ـ الليل | ١ـ٢.

۴ ـ الفجر | ١ـ۴.

(وَالطُّورِ *وَكِتابِمَسْطُور* فى رَقٍّ مَنْشُورٍ* وَالْبَيْتِالْمَعْمُورِ* وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ* وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ).(١)

(لَعَمْرُكَ إِنّهم لَفِى سَكْرَتهِمْ يَعْمَهُون) .(٢)

فلو كان الحلف بغير اللّه شركاً وأمراً قبيحاً، فكيف يصدر منه سبحانه وقد وصف الشرك بالفحشاء، وقال: (وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ) .(٣)

والقبيح قبيح مطلقاً دون فرق بين ارتكابه من قِبل الخالق أو المخلوق، وهذا يُعرب عن أنّ الحلف بغير اللّه سبحانه إذا كان لغاية عقلائية أمر لا محذور فيه.

ثمّ إنّ الغاية ـ غالباً ـ من حلفه سبحانه بالأُمور الكونية هى الإشارة إلى الأسرار المكنونة فيها ودعوة الناس إلى الامعان فيها وكشف رموزها، ولكن الغاية فى حلف الإنسان بالذوات القدسية ـ وراء الاشارة إلى قدسيّتهم ـ هى امّا الترغيب أو الترهيب أو كسب ثقة المقابل.

وإذا عطفنا النظر إلى السنة النبوية نجد انّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يحلف

---

١ ـ الطور | ١ـ۶.

٢ ـ الحجر | ٧٢.

٣ ـ الأعراف | ٢٨.

بغير اللّه سبحانه.

أخرج مسلم فى صحيحه: عن أبى هريرة، قال:

«جاء رجل إلى النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول اللّه أى الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: أما ـ وأبيك ـ لتنبّأنّه أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء».(١)

وأخرج أيضاً عن طلحة بن عبيد اللّه، قال:«جاء رجل إلى رسول اللّه ـ من نجد ـ يسأل عن الإسلام، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله

وسلم) : خمس صلوات فی الیوم واللیل.

فقال: هل علیَّ غیرهن؟

قال: لا... الا أن تطوع،وصیام شهر رمضان.

فقال: هل علیَّ غیرها؟

قال: لا... الا ان تطوع، وذکر له رسول اللّه الزکاة.

فقال الرجل: هل علیّ غیره؟

قال: لا...الا أن تطوع.

فأدبر الرجل وهو یقول: واللّه لا أزید علی هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول اللّه : أفلح ـ و أبیه ـ (۲) إن صدق_____.

۱ ـ صحیح مسلم: ۳|۹۴، باب أفضل الصدقة من کتاب الزکاة.

۲ ـ أی: قسماً بأبیه، و «الواو» للقسم.

(۱۵۸)

أو قال: دخل الجنة ـ وأبیه ـ إن صدق.(۱)

وثمةأحادیث أُخری طوینا الکلام عن ذکرها مخافة الاطالة. سوَال وجواب

أخرج النسائی فی سننه، عن ابن عمر: انّ رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) قال: من حلف بغیر اللّه فقد أشرک.(۲)

ومعه کیف یجوز الحلف بغیر اللّه سبحانه؟

والجواب: انّ رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) یشیر فی قوله هذا إلی نوع خاص من الحلف الرائج فی ذلک العصر وهو الحلف بالاَصنام کاللات والعزّی، ویدل علی ذلک ما أخرجه النسائی أیضاً فی سننه عن النبی(صلی الله علیه وآله وسلم) أنّه قال: «من حلف، فقال فی حلفه باللات والعزّی، فلیقل لا إله إلاّ اللّه».(۳)

وأخرج أیضاً عن النبی(صلی الله علیه وآله وسلم) قال: لا تحلفوا بآبائکم ولا بأُمّهاتکم ولا بالاَنداد.(۴)

إنّ الحدیث الاَوّل یکشف عن انّ رواسب الجاهلیة ما زالت عالقة فی بعض النفوس، فکانوا یحلفون بأصنامهم، فأمرهم النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یقولوا بعد الحلف «لاإله إلاّ اللّه»، لاَجل القضاء علی تلک الخلفیات_____.

۱ ـ صحیح مسلم: ۱|۳۲، باب «الاِسلام ما هو و بیان خصاله» من کتاب الاِیمان.

۲ ـ سنن النسائی:۷|۸.

۳ ـ سنن النسائی:۷|۸.

۴ ـ سنن النسائی:۷|۸.

(۱۵۹)

کما انّ الحدیث الثانی یشیر إلی انّ وجه المنع عن الحلف بالآباء والاُمّهات لشرکهم ویوَید ذلک اقترانها بقوله ولا بالانداد، والمراد منها هی الاَصنام والاَوثان.

ویظهر من کثیر من الفقهاء جواز الحلف بغیر اللّه غیر انّهم اختلفوا فی وجوب الکفارة عند الحنث، وهذا یعرب عن تصافقهم علی جواز الحلف وإنّما الاختلاف فی انعقاده وکفارته،وإلیک بعض النصوص:

قال ابن قدامة: الحلف بالقرآن أو بآیة منه أو بکلام اللّه یمین منعقدة تجب الکفارة بالحنث فیها، وبهذا قال ابن مسعود، والحسن وقتادة ومالک والشافعی وأبو عبید وعامة أهل البیت.

وقال أبو حنيفة : وأصحابه ليس بيمين ولا تجب به كفارة.(۱)

وقال ابن قدامة فى موضع آخر: ولا تنعقد اليمين بالحلف بمخلوق والأنبياء وسائر المخلوقات ولا تجب الكفارة بالحنث فيها، وهذا ظاهر كلام الخرقى وهو قول أكثر الفقهاء، وقال أصحابنا : الحلف برسول اللّه يمين موجبة للكفارة.(۲)

نعم اتّفق الفقهاء على أنّه لا تفُضَّ الخصومات عند القاضى إلاّ بالحلف باللّه_____.

۱ ـ المغنى: ۱۱|۱۹۳، كتاب اليمين.

۲ ـ المصدر نفسه: ۱۱|۲۰۹.

(۱۶۰)

۱۲ – تسمية المواليد بإضافة العبد إلى غير اللّه

۱۲ – تسمية المواليد بإضافة العبد إلى غير اللّه سبحانه لقد تعارف لدى المسلمين تسمية أولادهم بعبد الرسول وعبد الحسين وما ضاهاهما ويجمع الكلّ اضافته إلى أسماء الرسول وأئمّة الإسلام.

وربما وقع ذلك ذريعة للسوَال عن جوازه، فنقول:

تطلق العبودية ويراد منها أحد المعانى التالية:

۱. العبودية هى التى تقابل الأُلوهية، وهى بهذا المعنى ناشئة من المملوكية التكوينية التى تعمّ جميع العباد، ومنشأ المملوكية كونه سبحانه خالقاً، والإنسان مخلوقاً.

وعلى ضوء ذلك فالعبودية إذا كانت رمزاً للمملوكية الناشئة من الخالقية، فهى لا تضاف إلاّ إلى اللّه سبحانه كما يقول سبحانه: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّماواتِ وَالأَرْضِ إِلاّ اتِى الرَّحمنِ عَبْداً) .(۱)

وقال سبحانه حاكياً عن المسيح: (إِنّى عَبْدُ اللّهِ آتانِىَ الكِتابَ وَجَعَلَنى نَبِيّاً) .(۲)

_____

۱ ـ مريم|۹۳.

۲ ـ مريم|۳۰.

(۱۶۱)

۲. العبودية الوضعية الناشئة من غلبة إنسان على إنسان فى الحروب وقد أمضاها الشارع تحت ظل شرائط معينة مذكورة فى الفقه.

فأمر الاسارى ـ الذين يقعون فى الأسر بيد المسلمين ـ موكول إلى الحاكم الشرعى فهو مخيّر بين إطلاق سراحهم بلا عوض أو بأخذ مال منهم أو استرقاقهم.

فإذا اختار الثالث فيكون الأسير عبداً للمسلم، ولذلك ترى انّالفقهاء عقدوا باباً باسم «العبيد والاماء».

قال سبحانه: (وَأَنْكِحُوا الأَيامى مِنْكُمْ وَالصّالِحينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّه مِنْ فَضْلِهِ وَاللّهُ واسِعٌ عَليمٌ).(۱)

تجد انّه سبحانه ينسب العبودية والإمائية إلى الذى يتملكونهم ويقول «عبادكم وإمائكم» فيضيف العبد إلى غير اسمه جلّ ذكره.

۳. العبودية بمعنى الطاعة وبها فسرها أصحاب المعاجم.(۲)

وهذا هو المقصود من تلك الاسماء فيسمون أولادهم باسم عبد الرسول أى مطيع الرسول وعبد الحسين أى مطيعه وكلّمسلم مطيع للرسول والأئمّة من بعده ولا شكّ انّه يجب إطاعة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و أولى الأمر_____. .

۱ ـ النور|۳۲.

۲ ـ لسان العرب: مادة عبد، وكذلك القاموس المحيط فى نفس المادة.

(۱۶۲)

قال سبحانه: (أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولى الأَمْرِ مِنْكُمْ) .(۱)

فعرف القرآن النبى مطاعاً والمسلمين مطيعين، ولا عتب على الإنسان أن يظهر هذا المعنى فى تسمية أولاده وأفلاذ كبده .

نعم المسمى بعبد الرسول هو عبد للرسول و فى الوقت نفسه عبد للّه أيضاً و لا منافاة بين النسبتين لما عرفت من انّ العبودية فى الصورة الأُولى هى العبودية التكوينية النابعة من الخالقية ولكنّها فى الصورة الثانية ناجمة عن تشريعه سبحانه حيث جعل النبى مطاعاً وأمر الناس باطاعته وشتان ما بينهما.

والحمد للّه ربّالعالمين جعفر السبحانى

قم ـ الجامعة الإسلامية

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹